الحجج النقلية والعقلية

فيما ينافي الاسلام من بدع الجهمية والصوفية

كالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، ونفي القدر

أو الاحتجاج به على الرضا بالمعاصي

والمصائب

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

قدس الله سره

القسم الثاني من هذا المجموع

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

Marfat.com

137170

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل

سئل شيخنا الامام الرباني شيخ الاسلام ، بحر العلوم إمام الائمة ، ناصر السنة ، علامة الورى ، وارث الانبياء ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، عن كلمات وجدت بخط من يوثق به ، ذكرها عنه جماعة من الناس ، فيهم من انتسب الى الدين

فمن ذلك : قال بعض السلف : ان الله لطّف ذاته فسماها حقا ، وكثّفها فسماها خلقا .

وقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل : ان الله ظهر في الاشياء حقيقة ، واحتجب بها مجازا ، فمن كان من أهل الحق والجمع شهدها مظاهر ومجالي ، ومن كان من أهل المجاز والفرق شهدها ستوراً وحجبا . وقال في قصيدة له :

لقد حق لي رفض الوجود وأهله وقد علقت كفاي حقا بموجدي

ثم بعد مدة قال :

* لقد حق لي عشق الوجود وأهله *

فسألته عن ذلك فقال : مقام البداية أن يرى الاكوان حجبا فيرفضها ، ثم يراها مظاهر ومجالي فيحق له العشق لها ، كما قال بعضهم :

أقبل أرضاً سار فيها جمالها فكيف بدار دار فيها جمالها ؟

قال : وقال ابن عربي عقيب انشاد بيتي أبي نواس :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشاكلا فتشابه الامر

فكأنما خمر ولا قدح و كأنما قدح ولا خمر

Marfat.com

لبس صورة العالم فظاهره خلقه، وباطنه حقه

وقال بعض السلف: عين ماترى ذات لاترى، وذات لاترى عين ماترى، الله فقط، والكثرة وهم

وقال الشيخ قطب الدين بن سبعين: رب مالك، وعبد هالك، وأنتم ذلك. الله فقط، والكثرة وهم

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي:

ياصورة إنس سرها معنائي ماخلقك الامر يرى لولائي
شئناك فأنشأناك خلقا بشرا لتشهدنا في اكمل الاشياء

وفيه: طلب بعض أولاد المشايخ من والده الحج، فقال له الشيخ: يابني طف ببيت مافارقه الله طرفة عين.

قيل وقيل عن رابعة العدوية: انها حجت فقالت: هذا الصنم المعبود في الارض، والله ماولجه الله ولا خلا منه

وفيه للحلاج:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا مستتراً ظاهرا في صورة الآكل والشارب

قال وله:

عقد الخلائق في الاله عقائدا وأنا اعتقدت جميع مااعتقدوه

وله أيضاً:

بيني وبينك إنيّ تزاحمني فارفع بحقك اني من البين

قال وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي الحلبي: وبهذه الإنية التي طلب الحلاج رفعها تصرفت الاغيار في دمه، ولذلك قال السلف: الحلاج نصف رجل وذلك انه لم يرفع له الإنية بالمعنى فرفعت له صورة

Marfat.com

وفيه لمحيي الدين بن عربي :

والله ماهي إلا حيرة ظهرت ... وبي حلفت وان المقسم الله

وفيـه : المنقول عن عيسى عليه السلام انه قال « ان الله اشتاق بأن يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم عليه السلام وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها، وإني أنا ذاك النور وآدم المرآة . قال ابن الفارض :

وشاهد اذا استجليت نفسك من ترى ... بغـير مراء في المراة الصقيـلة

أغـيرك فيها لاح أم أنت ناظر ... اليك بها عند انعكاس الاشعة ؟

قال وقال ابن اسرائيل، الأمر أمران : أمر بواسطة ، وأمر بغير واسطة. فلامر الذي بالوسائط رده من شاء الله وقبله من شاء الله . والامر الذي بغـير واسطة لايمكن رده ، وهو قوله تعالى (انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فقال له فقير : إن الله قال لآدم بلا واسطة :لاتقرب الشجرة.ـفقرب وأكل . فقال صـدقت ، وذلك أن آدم انسان كامل ، ولذلك قال شيخنا علي الحريري آدم صفي الله تعالى، كانـ توحيده ظاهراً وباطنا، فكان قوله لآدم « لاتقرب الشجرة » ظاهراً وكان أمره « كل »باطنا ، وابليس كان توحيـده ظاهراً ، فأمربالسجود لآدم فرآه غيرا فلم يسجد فغيرالله عليه وقال (اخرج منها)

وقال شخص ياسيدي حسن ، اذا كان الله يقول لنبيه (ليس لك من الامر شيء) ايش نكون نحن ؟ فقال له ليس الامر كما تقول أو تظن، فقوله له (ليس لك من الامر شيء) عين الاثبات للنبي ﷺ كقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى * ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)

وفيه لأوحد الدين الكرماني

ماغبت عن القلب ولا عن عيني ... مابينكم وبيننا من بين

وقال غيره:

Marfat.com

لاتحسب بالصلاة والصوم تنال قربا ودنواً من جمال وجلال
فارق ظلم الطبع وكن متحداً بالله والا كلُّ دعواك محال

وغيره للحلاج :

اذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
يشاهد حقا حين يشهده الهوى بأن صلاة العارفين من الكفر

ولابن اسرائيل :

الكون يناديك ألا تسمعني من ألف أشتاتي ومن فرقي
أنظر لتراني منظراً معتبرا مافي سوى وجود من أوجدني

وله أيضا:

ذرات وجود الكون للحق شهود أن ليس لموجود سوى الحق وجود
والكون وإن تكثرت عدته منه والى علاه يبدو ويعود

وله أيضاً :

برئت اليك من قولي وفعلي ومن ذاتي براءة مستقيل
وما أنا في طراز الكون شيء لاني مثل ظل مستحيل

وللعفيف التلمساني :

أحن اليه وهو قلبي وهل يرى سواي أخو وجد يحن لقلبه ؟
ويحجب طرفي عنه إذهو ناظري وما بُعده إلا لافراط قربه

وقال بعض السلف: التوحيد لا لسان له، والالسنة كلها لسانه .

ومن ذلك أيضاً :التوحيد لايعرفه إلا الواحد، ولا تصح العبارة عن الواحد، وذلك انه لايعبر عنه إلا بغيره ومن أثبت الغير فلا توحيد له

قال : وسمعت الشيخ محمد بن بشر النواوي يقول ورد سيدنا الشيخ علي الحريري الى جامع نوى ، قال الشيخ محمد : فجئت اليه فقبلت، الارض بين يديه

Marfat.com

وجلست ، فقال : يابني وقفت مع المحبة مدة فوجدتها غير المقصود ، لان المحبة لاتكون إلا من غير لغير، وغير ماثم ، ثم وقفت مع التوحيد مدة فوجدته كذلك، لان التوحيد لايكون إلا من عبد لرب ، ولو أنصف الناس ما رأوا عبداً ولامعبودا

وفيه : سمعت من الشيخ نجم الدين بن اسرائيل ماأسر إلي انه سمعه من شيخنا الشيخ علي الحريري في العام الذي توفي فيه ، قال يانجم ، رأيت لهاتي الفوقانية فوق السموات وحنكي تحت الارضين ، ونطق لساني بلفظة لوسمعت مني ماوصل الى الارض من دمي قطرة . فلما كان بعد ذلك بمدة قال شخص في حضرة الشيخ حسن بن علي الحريري : ياسيدي حسن ، ماخلق الله أقل عقلا ممن ادعى انه إله مثل فرعون ونمروذ وأمثالهما ، فقال : إن هذه المقالة لايقولها إلا أجهل خلق الله أو أعرف خلق الله ، فقلت له صدقت وذلك انه قد سمعت جدك يقول رأيت كذا وكذا ـ فذكر ما ذكره الشيخ نجم الدين عن الشيخ

وفيه قال بعض السلف: من كان عين الحجاب على نفسه فلا حاجب ولا محجوب

*

فالمطلوب من السادة العلماء أن يبينوا هذه الاقوال ، وهل هي حق أو باطل؟ وما يعرف به معناها ؟ وما يبين انها حق او باطل ؟ وهل الواجب انكارها ، او اقرارها ، او التسليم لمن قالها ؟ وهل لها وجه سائغ ؟ وما الحكم فيمن اعتقد معناها، امامع المعرفه بحقيقتها ؟ واما مع التسليم المجمل لمن قالها ؟

والمتكلمون بها ، هل أرادوا معنى صحيحا يوافق العقل والنقل ؟ وهل يمكن تأويل مايشكل منها ويحمل على ذلك المعنى؟ وهل الواجب بيان معناها وكشف مغزاها ، اذا كان هناك قوم يؤمنون بها ولا يعرفون حقيقتها ؟ ام ينبغي السكوت عن ذلك وترك الناس يعظمونها ويؤمنون بها مع عدم العلم بمعناها ؟ بينوا ذلك مأجورين

Marfat.com

فأجاب رضي الله عنه:

الحمد لله رب العالمين . هـذه الاقوال المذكورة تشتمل على أصلين باطلين مخالفين لدين المسلمين واليهود والنصارى مخالفتهما للمنقول والمعقول

الاصل الاول لضلال المتصوفة

الحلول والاتحاد

الحلول والاتحاد وما يقارب ذلك ، كالقول بوحـدة الوجود ، وكالذين يقولون : ان الوجود واحد ، فالوجود الواجب للخـالق هو الوجود الممكن للمخلوق ، كما يقول ذلك أهل الوحدة، كابن عربي وصاحبه القونوي وابن سبعين وابن الفارض صاحب القصيدة التائية (نظم السلوك) وعامر البصري السيواسي الذي له قصيدة تناظر قصيدة ابن الفارض، والتلمساني الذي شرح مواقف النفري(١) وله شرح الاسماء الحسنى على طريقة هؤلاء ، وسعيد الفرغاني الذي شرح قصيدة ابن الفارض ، والششتري صاحب الازجال الذي هو تلميذ ابن سبعين ؛ وعبد الله البلباني ، وابن أبي المنصور المتصوف المصري صاحب (فك الازرار عن أعناق الاسرار) وأمثالهم .

ثم من هؤلاء من يفرق بين الوجود والثبوت كما يقوله ابن عربي ويزعم ان الاعيان ثابتة في العـدم غنية عن الله في أنفسها ، ووجود الحق هو وجودها ، والخالق مفتقر الى الاعيان في ظهور وجوده بها ، وهي مفتقرة اليه في حصول وجودها الذي هو نفس وجوده . وقوله مركب من قول من قال المعدوم شيء

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري الصوفي توفي سنة ٣٥٤ والتلمساني شارح مواقفه هو عفيف الدين سليمان بن على الصوفي الشاعر صاحب الديوان المشهور توفي سنة ٦٩٠

Marfat.com

وقول من يقول وجود الخالق هو وجود المخلوق، ويقول فالوجود المخلوق هو الوجود الخالق، والوجود الخالق هو الوجود المخلوق، كما هو مبسوط في موضع آخر

ومنهم من يفرق بين الاطلاق والتعيين كما يقول القونوي ونحوه فيقولون: ان الواجب هو الوجود المطلق لا بشرط، وهذا لا يوجد مطلقا إلا في الاذهان لا في الاعيان، فما هو كلي في الاذهان لا يكون في الاعيان إلا معينا وان قيل: ان المطلق جزء من المعين لزم أن يكون وجود الخالق جزءاً من وجود المخلوق، والجزء لا يبدع الجميع ويخلقه فلا يكون الخالق موجوداً.

ومنهم من قال: ان الباري هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق كما يقول ابن سينا وأتباعه فقوله أشد فساداً. فان المطلق بشرط الاطلاق لا يكون إلا في الاذهان لا في الاعيان فقول هؤلاء بموافقة من هؤلاء الذين يلزمهم التعطيل شر من قول الذين يشبهون أهل الحلول والاتحاد

وآخرون يجعلون الوجود الواجب والوجود الممكن بمنزلة المادة والصورة التي تقولها المتفلسفة او قريب من ذلك كما يقوله ابن سبعين وأمثاله

وهؤلاء أقوالهم فيها تناقض وفساد، وهي لا تخرج عن وحدة الوجود والحلول او الاتحاد، وهم يقولون بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق. بخلاف من يقول بالمعين كالنصارى والغالية من الشيعة الذين يقولون بالهية علي او الحاكم او الحلاج او يونس القنيني أو غير هؤلاء ممن ادعيت فيه الالهية. فان هؤلاء قد يقولون بالحلول المقيد الخاص واولئك يقولون بالاطلاق والتعميم. ولهذا يقولون ان النصارى إنما كان خطؤهم في التخصيص (١) وكذلك يقولون في المشركين عباد الاصنام إنما كان خطؤهم لانهم اقتصروا على بعض المظاهر دون بعض، وهم يجوزون الشرك وعبادة الاصنام مطلقا على وجه الاطلاق والعموم

(١) أي تخصيص المسيح بالربوبية لا في جعله ربا وإلها

Marfat.com

ولا ريب ان في قول هؤلاء من الكفر والضلال ماهو أعظم من كفر اليهود والنصارى. وهذا المذهب شائع في كثير من المتأخرين وكان طوائف من الجهمية يقولون به وكلام ابن عربي في فصوص الحكم وغيره وكلام ابن سبعين وصاحبه الششتري وقصيدة ابن الفارض (نظم السلوك) وقصيدة عامر البصري وكلام العفيف التلمساني وعبدالله البلياني والصدر القونوي وكثير من شعر ابن اسرائيل وما ينقل من ذلك عن شيخه الحريري وكذلك نحو منه يوجد في كلام كثير من الناس غير هؤلاء — هو مبني على هذا المذهب مذهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود

وكثير من أهل السلوك الذين لا يعتقدون هذا المذهب يسمعون شعر ابن الفارض وغيره فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب ، فان هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال،ما حير كثيرا من الرجال

وأصل ضلال هؤلاء أنهم لم يعرفوا مباينة الله لمخلوقاته وعلوه عليها .وعلموا أنه موجود فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها ، بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أنه الشمس نفسها

﴿ الاقوال الاربعة للناس في الخالق تعالى ﴾

ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة الله وعلوه على خلقه افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال ، فالسلف والائمة يقولون إن الله فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الامة ، وكما علم المباينه والعلو بالمعقول الصريح الموافق المنقول الصحيح . وكما فطر الله على ذلك خلقه من إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى

(والقول الثاني)قول معطلة الجهمية ونفاتهم ، وهم الذين يقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايث له . فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما، كما يقول ذلك اكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم

Marfat.com

(والقول الثالث) قول حلولية الجهمية الذين يقولون : إنه بذاته في كل مكان كما يقول ذلك النجارية أتباع حسين النجار وغيرهم من الجهمية، وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس هؤلاء ، فإن الحلول أغلب على عباد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم . والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم، كما قيل: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا ، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء . وذلك أن العبادة تتضمن الطلب والقصد والارادة والمحبة وهذا لا يتعلق بمعدوم ، فان القلب يطلب موجودا فاذا لم يطلب ما فوق العالم طلب ما هو فيه

وأما الكلام والعلم والنظر فيتعلق بموجود ومعدوم، فاذا كان أهل الكلام والنظر يصفون الرب بصفات السلب والنفي التي لا يوصف بها إلا المعدوم لم يكن مجرد العلم والكلام ينافي عدم المعدوم المذكور، بخلاف القصد والارادة والعبادة فانه ينافي عدم المعبود ، ولهذا تجد الواحد من هؤلاء عند نظره وبحثه يميل إلى النفي ، وعند عبادته وتصوفه يميل إلى الحلول . وإذا قيل له هذا ينافي ذلك قال: هذا مقتضى عقلي ونظري ، وذاك مقتضى ذوقي ومعرفتي ، ومعلوم أن الذوق والوجد ان لم يكن يوافق العقل والنظر وإلا لزم فساد هما أو فساد أحدهما

والقول الرابع : قول من يقول ان الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان، وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كابي معاذ وأمثاله ، وقد ذكر الاشعري في المقالات هذا عن طوائف ، ويوجد في كلام السالمية كابي طالب المكي وأتباعه كابي الحكم بن برجان وأمثاله ما يشير إلى نحو من هذا كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا

وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من متأخري الصوفية ولهذا كان أئمة القوم يحذرون منه: فما في قول الجنيد ـ لما سئل عن التوحيد ـ فقال التوحيد إفراد الحدوث عن القدم، فبين أن التوحيد أن يميز بين القديم والمحدث.

Marfat.com

وقد أنكر ذلك عليه ابن عربي صاحب الفصوص وادعى أن الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد لما أثبتوا الفرق بين العبد والرب، بناء على دعواه أن التوحيد ليس فيه فرق بين الرب والعبد، وزعم أنه لا يميز بين القديم والمحدث، إلا من ليس بقديم ولا محدث وهذا جهل، فان المعرفه بان هذا ليس ذاك والتميز بين هذا وذاك لا يفتقر إلى أن يكون العارف المميز بين الشيئين ليس هو أحد الشيئين، بل الانسان يعلم أنه ليس هو ذلك الانسان الآخر مع أنه أحدهما، فكيف لا يعلم أنه غير ربه وإن كان هو أحدهما ؟

الاصل الثاني اضلال المتصوفة

الاحتجاج بالقدر، والمكذبون به من المتكلمة

والاصل الثاني الاحتجاج بالقدر على المعاصي وعلى ترك المأمور وفعل المحظور وإن القدر يجب الايمان به ولا يجوز الاحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه ووعده ووعيده

والناس الذين ضلوا في القدر على ثلاثة أصناف : قوم آمنوا بالامر والنهي والوعد والوعيد وكذبوا بالقدر، وزعموا أن من الحوادث مالا يخلقه الله كالمعتزلة ونحوهم، وقوم آمنوا بالقضاء والقدر ووافقوا أهل السنة والجماعة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء وربه ومليكه، لكن عارضوا هذا بالامر والنهي وسموا هذا حقيقة وجعلوا ذلك معارضا للشريعة. وفيهم من يقول . ان مشاهدة القدر تنفي الملام والعقاب وإن العارف يستوي عنده هذا وهذا .

وهم في ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والذوق والوجد . فانهم لا يسوون بين من أحسن اليهم وبين من ظلمهم . ولا يسوون بين العالم والجاهل والقادر والفاجر . ولا بين الطيب والخبيث . ولا بين العادل والظالم، بل يفرقون

Marfat.com

بينهما ، ويفرقون بموجب أهوائهم وأغراضهم لابموجب الامر والنهى ، ولايقفون لا مع القدر ولا مع الامر ، كما قال بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدري ، وعند المعصية جبري ، أي مذهب يوافق هواك تمذهبت به . ولا يوجد أحد يحتج بالقدر في ترك الواجب وفعل المحرم الا وهو متناقض لايجعله حجة في مخالفة هواه ، بل يعادي من آذاه وإن كان محقا ، ويحب من وافقه على غرضه وإن كان عدواً لله ، فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه وذوق نفسه ووجدها لا بحسب أمر الله ونهيه ، ومحبته وبغضه ، وولايته وعداوته ، إذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد . فان هذا مستلزم للفساد الذي لاصلاح معه ، والشر الذي لاخير فيه . إذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ، ولا اقتص من ظالم باغ . ولا أخذ لمظلوم حقه من ظالمه ، ولفعل كل أحد ما يشتهيه ، من غير معارض يعارضه فيه ، وهذا فيه من الفساد مالا يعلمه إلا رب العالمين

فمن المعلوم بالضرورة أن الافعال تنقسم إلى ما ينفع العباد وإلى مايضرهم والله بعث رسوله يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، فمن لم يتبع شرع الله ودينه تبع ضده من الاهواء والبدع ، وكان إحتجاجه بالقدر من الجدل بالباطل ليدحض به الحق لا من باب الاعتماد عليه ولزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير من أهل المعاذير

وإن قال : انا أعذر بالقدر من شهده ، وعلم أن الله خالق فعله ومحركه ، لا من غاب عن هذا الشهود ، أو كان من أهل الجحود . قيل له : فيقال لك وشهود هذا وجحود هذا من القدر ؟ فالقدر متناول لشهود هذا وجحود هذا ؟ فان كان هذا موجبا للفرق مع شمول القدر لهما فقد جعلت بعض الناس محموداً وبعضهم مذموما مع شمول القدر لهما ؟ وهذا رجوع إلى الفرق واعتصام بالامر والنهى . وحينئذ فقد نقضت أصلك وتناقضت فيه ، وهذا لازم لكل من دخل معك فيه .

Marfat.com

ثم مع فساد هذا الاصل وتناقضه فهو قول باطل وبدعة مضلة .

فمن جعل الايمان بالقدر وشهوده عذرا في ترك الواجبات وفعل المحظورات [كان الايمان بالقدر على قوله من اكبر المعاصي والسيئات وليس الامر كذلك] بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات ، فلو أشرك مشرك بالله وكذب رسوله ناظراً الى أن ذلك مقدر عليه لم يكن ذلك غافراً لتكذيبه ولا مانعا من تعذيبه ، فان الله لا يغفر أن يشرك به ، سواء كان المشرك مقرا بالقدر وناظرا اليه ، أو مكذبا به وغافلا عنه ، فقد قال ابليس (فبما اغويتني لازينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين) فصار احتج بالقدر وكان ذلك زيادة في كفره وسببا لمزيد عذابه . وأما آدم عليه السلام فانه قال (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) فمن استغفر وتاب كان آدميا سعيدا ومن أصر واحتج بالقدر كان ابليسيا شقيا . وقد قال تعالى لابليس (لاملئن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين)

وهذا الموضع ضل فيه كثير من الخائضين في الحقائق ، فانهم يسلكون انواعا من الحقائق التي يجدونها ويذوقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا فيه الامر ، فيضاهؤن المشركين الذين كانوا يبتدعون دينا لم يشرعه الله ويحتجون بالقدر على مخالفة أمر الله

(والصنف الثالث) من الضالين في القدر من خاصم الرب في جمعه بين القضاء والقدر والامر والنهي كما يذكرون ذلك على لسان ابليس ، وهؤلاء خصماء الله وأعداؤه . وأما أهل الايمان فيؤمنون بالقضاء القدر والامر والنهي ، ويفعلون المأمور، ويتركون المحظور، ويصبرون على المقدور، كما قال تعالى (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) فالتقوى تتناول فعل المأمور وترك المحظور ،

Marfat.com

والصبر يتضمن الصبر على المقدور . وهؤلاء إذا أصابتهم مصيبة في الارض أو في أنفسهم علموا أن ذلك في كتاب، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، فسلموا الامر لله وصبروا على ما ابتلاهم به . وأما إذا جاء أمر الله فانهم يسارعون في الخيرات، ويسابقون الى الطاعات، ويدعون ربهم رغبا ورهبا، ويجتنبون محارمه ويحفظون حدوده، ويستغفرون الله ويتوبون اليه من تقصيرهم فيما أمر وتعديهم لحدوده . علما منهم بان التوبة فرض على العباد دائما ، واقتداء بنبيهم حيث يقول في الحديث الصحيح « أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم مائة مرة » وفي رواية « اكثر من سبعين مرة » وآخر سورة نزلت عليه (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)

الجواب عن الكلمات المسؤل عنها

وإذا عرف هذان الاصلان فعليهما ينبني جواب ما في هذا السؤال من الكلمات، ويعرف ما دخل في هذه الامور من الضلالات

كلامهم في الحق والخلق

فقول القائل : ان الله لطف ذاته فسماها حقا، وكثفها فسماها خلقا ـ هو من أقوال أهل الوحدة والحلول والاتحاد، وهو باطل فان اللطيف ان كان هو الكثيف فالحق هو الخلق ولا تلطيف ولا تكثيف ، وان كان اللطيف غير الكثيف فقد أثبت الفرق بين الحق والخلق، وهذا هو الحق ، وحينئذ فالحق لا يكون خلقا ، فلا يتصور ان ذات الحق تكون خلقا بوجه من الوجوه ، كما أن ذات المخلوق لا تكون ذات الخالق بوجه من الوجوه

وكذلك قول الآخر «ظهر فيها حقيقة واحتجب عنها مجازاً » فانه ان كان

Marfat.com

الظاهر غير المظاهر فقد ثبت الفرق بين الرب والعبد ، وان لم يكن أحدهما غير الآخر فلا يتصور ظهور ولا احتجاب

ثم قوله « فمن كان من أهل الحق شهدها مظاهر ومجالي ومن كان من أهل الفرق شهدها ستوراً وحجبا » كلام ينقض بعضه بعضا ، فانه ان كان الوجود واحداً لم يكن أحد الشاهدين غير الآخر ، ولم يكن الشاهد غير المشهود . ولهـذا قال بعض شيوخ هؤلاء : من قال في الكون سوى الله فقد كذب . فقال له آخر : فمن الذي كذب ؟ فافهمه وهـذا لانه اذا لم يكن موجود سوى الواجب بنفسه كان هو الذي يكذب ويظلم ويؤكل ويشرب ، وهذا يصرح به أئمة هؤلاء .(١) كما يقول صاحب الفصوص وغيره انه موصوف بجميع صفات الذم ، وأنه هو الذي يمرض ويضرب وتصيبه الآفات ويوصف بالمعايب والنقائص ، كما انه هو الذى يوصف بنعوت المدح والذم

قال : فالعلي بنفسه هو الذي يكون له جميع الصفات الثبوتية والسلبية سواء كانت محمودة عقلا وشرعا وعرفا ، او مذمومة عقلا وشرعا وعرفا ، وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة

وقال : ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص وبصفات الذم ؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق وكلها حق له كما ان صفات المخلوق حق للخالق .

وقول القائل * لقد حق لي عشق الوجود وأهله * يقتضي انه يعشق ابليس وفرعون وهامان وكل كافر ، ويعشق الكلاب والخنازير والبول والعذرة وكل

---

(١) ويلتزمون الشق من كل ما أورده على كلامهم فيقولون الحق عين الخلق وانما التلطيف والتكثيف تعليل للتسمية فالظاهر عين الباطن والشاهد عين المشهود. وسيأتي تصريحهم بهذا كله.

Marfat.com

خبيث ، مع انه باطل عقلا وشرعا ، (١) فهو كاذب في ذلك متناقض فيه، فانه لو آذاه مؤذ وآلمه آلما شديداً لأبغضه وعاداه ، بل اعتدى في أذاه ، فعشق الرجل لكل موجود محال عقلا ، محرم شرعا ، (٢)

وما ذكر عن بعضهم من قوله : عين ماترى ذات لاترى، وذات لاترى عين ماترى . هو من كلام ابن سبعين ، وهو من أكابر أهل الشرك والالحاد ، والسحر والاتحاد ، وكان من أفاضلهم وأذكيائهم وأخبرهم بالفلسفة وتصوف المتفلسفة

وقول ابن عربي : ظاهره خلقه ، وباطنه حقه . هو قول اهل الحلول ، وهو متناقض في ذلك ، فانه يقول بالوحدة فلا يكون هناك موجودان أحدهما باطن والآخر ظاهر ، والتفريق بين الوجود والعين ، تفريق لاحقيقة له بل هو من أقوال أهل الكذب والمين

وقول ابن سبعين « ربٌّ مالك ، وعبد هالك ، وأنتم ذلك ، الله فقط . والكثرة وهم » هو موافق لاصله الفاسد ، وان وجود المخلوق وجود الخالق ، ولهذا قال وأنتم ذلك . فانه جعل العبد هالكا أي لاوجود له فلم يبق إلا وجود الرب ، فقال : وأنتم ذلك ، وكذلك قل: الله فقط ، والكثرة وهم. فانه على قوله لا موجود إلا الله . ولهذا كان يقول هو وأصحابه في ذكرهم : ليس إلا الله بدل قول المسلمين لاإله إلا الله

وكان الشيخ قطب الدين بن القسطلاني يسميهم الليسية ويقول : احذروا هؤلاء الليسية ، ولهذا قال « والكثرة وهم » وهذا تناقض، فان قوله «وهم» يقتضي متوهما ، فان كان المتوهم هو الوهم فيكون الله هو الوهم ، وان كان المتوهم هو غير

---

(١) أي وحسا وطبعا ، فمذهبهم خيالي ناقض لكل حقائق الادراك وأنواع العلم

(٢) أي وباطل وجدانا وطبعا ، أعني انه غير واقع ، فهو غير حق ، وانما هو خيال شعري محض

Marfat.com

التوهم فقد تعدد الوجود ، وكذلك ان كان المتوهم هو الله فقد وصف الله بالوهم الباطل ، وهذا مع انه كفر فهو يناقض قوله: الوجود واحد، وإن كان المتوهم غيره، فقد أثبت غير الله ، وهذا يناقض أصله ، ثم متى ما أثبت غيراً لزمت الكثرة فلا تكون الكثرة وهما ، بل تكون حقا

والبيتان المذكوران عن ابن عربي مع تناقضهما مبنيان على هذا الأصل ، فان قوله * ياصورة إنس سرها معناي * خطاب على لسان الحق ، يقول لصورة الانسان ، ياصورة إنس سرها معناي ، أي هي الصورة وأنا معناها ، وهذا يقتضي ان المعنى غير الصورة ، وهو يقتضي التعدد والتفريق بين المعنى والصورة ، فان كان وجود المعنى هو وجود الصورة ، كما يصرح به ، فلا تعدد . وان كان وجود هذا غير وجود هذا ، فهو متناقض في قوله

وقوله * ماخلقك للامر ترى لولاي * كلام مجمل يمكن أن يريد به معنى صحيحا ، أي لولا الخالق لما وجد المكلفون ولا خلق لامر الله ، لكن قد عرف انه لايقول بهذا وان مراده الوحدة والحلول والاتحاد ، ولهذا قال :

شئناك فأنشأناك خلقا بشرا كي تشهدنا في أكمل الاشياء

فبين ان العبيد يشهدونه في أكمل الاشياء وهي الصورة الانسانية ، وهذا يشير الى الحلول ، وهو حلول الحق في الخلق ، لكنه متناقض في كلامه . فانه لايرضى بالحلول ولا يثبت موجودين حل أحدهما في الآخر ، بل عنده وجود الحال هو عين وجود المحل . لكنه يقول بالحلول بين الثبوت والوجود ، فوجود الحق حل في ثبوت الممكنات ، وثبوتها حل في وجوده . وهذا الكلام لاحقيقة له في نفس الامر ، فانه لا فرق بين هذا وهذا ، لكنه هو مذهبه المتناقض في نفسه.

Marfat.com

وأما الرجل الذي طلب من والده الحج فأمره أن يطوف بنفس الاب وقال : طف ببيت مافارقه الله طرفة عين قط . فهذا كفر باجماع المسلمين ، فان الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به ورسوله ،وأما الطواف بالانبياء والصالحين فحرام باجماع المسلمين . ومن اعتقد ذلك دينا فهو كافر سواء طاف ببدنه أو بقبره .

وقوله « مافارقه الله طرفة عين» إن أراد به الحلول المطلق العام فهو مع كلامه متناقض فانه لا فرق حينئذ بين الطائف والمطوف به ، فلم يكن طواف هذا بهذا أولى من العكس بل هذا مستلزم أن يطاف بالكلاب والخنازير والكفار والنجاسات والاقذار ، وكل خبيث وكل ملعون ، لان الحلول والاتحاد العام يتناول هذا كله

وقد قال مرة شيخهم الشيرازي ، لشيخه التلمساني ، وقد مر بكلب أجرب ميت : هذا ايضاً من ذات الله ؟ فقال: ونم خارج عنه ؟ ومر التلمساني ومعه شخص بكلب،فركضه الآخر برجله ، فقال:لاتركضه فانه منه ،وهذا مع انه من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين فانه متناقض ، فان الراكض والمركوض واحد وكذلك الناهي والمنهي ، فليس شيء من ذلك بأولى بالامر والنهي من شيء ، ولا يعتقد مع هذا تعددا ، واذا قيل مظاهر ومجالي . قيل إن كان لها وجود غير وجود الظاهر والمتجلي ، فقد ثبت التعدد وبطت الوحدة ، وإن كان وجود هذا هو وجود هذا لم يبق بين الظاهر والمظهر والمتجلى فيه فرق .

وإن أراد بقوله: مافارقه الله طرفة عين ـ الحلول الخاص ـ كما تقوله النصارى في المسيح،لزم أن يكون هذا الحلول ثابتا له من حين خلق كما تقوله النصارى في المسيح ، فلايكون ذلك حاصلا له بمعرفته وعبادته وتحقيقه وعرفانه. وحينئذ فلا يكون فرق بينه وبين غيره من الآدميين ، فلماذا يكون الحلول ثابتا له دون غيره ؟ وهذا شر من قول النصارى،فان النصارى ادعوا ذلك في المسيح لكونه خالق

Marfat.com

من غير أب، وهؤلاء الشيوخ لم يفضلوا في نفس التخليق، وانما فضلوا بالعبادة والمعرفة والتحقيق والتوحيد. وهذا أمر حصل لهم بعد أن لم يكن، فاذا كان هذا هو سبب الحلول وجب أن يكون الحلول فيهم حادثا لا مقارنا لخلقهم، وحينئذ فقولهم إن الرب مافارق أبدانهم أو قلوبهم طرفة عين قط، ـ كلام باطل كيفما قدر

***

وأما ماذكر عن رابعة العدوية من قولها عن البيت: انه الصنم المعبود في الارض ـ فهو كذب على رابعة، ولو قال هذا من قاله لكان كافراً يستتاب فان تاب وإلا قتل، وهو كذب، فان البيت لايعبده المسلمون ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة اليه، وكذلك مانقل من قولها: والله ماولجه الله ولا خلا منه، كلام باطل عليها. وعلى مذهب الحلولية لا فرق بين ذلك البيت وغيره في هذا المعنى فلأي مزية يطاف به ويصلى اليه ويحج دون غيره من البيوت؟

وقول القائل: ماولج الله فيه ـ كلام صحيح،

وأما قوله ماخلا منه فان أراد أن ذاته حالة فيه أومايشبه هذا المعنى، فهو باطل وهو مناقض لقوله ماولج فيه، وإن أراد به أن الاتحاد ملازم له لم يتجدد له ولوج ولم يزل غير حال فيه، فهذا مع انه كفر وباطل يوجب أن لا يكون للبيت مزية على غيره من البيوت اذ الموجودات كلها عندهم كذلك

***

وأما البيتان المنسوبان الى الحلاج

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
حتى بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

فهذه قد يعني بها الحلول الخاص كما تقوله النصارى في المسيح، وكان أبو عبد الله ابن خفيف الشيرازي قبل أن يطلع على حقيقة أمر الحلاج يذب عنه، فلما أنشد هذين البيتين قال لعن الله من قال هذا. وقوله

Marfat.com

عقد الخلائق في الاله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فهذا البيت يعرف لابن عربي، فان كان قد سبقه اليه الحلاج وقد تمثل هو به فاضافته الى الحلاج صحيحة، وهو كلام متناقض باطل، فان الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد. والقضيتان المتناقضتان بالسلب والايجاب على وجه يلزم من صدق احداهما كذب الاخري لايمكن الجمع بينهما، وهؤلاء يزعمون أنه يثبت عندهم في الكشف ماينافض صريح العقل وانهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين، وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة المعقول والمنقول. ولا ريب أن هذا من أفسد ماذهب اليه أهل السفسطة

ومعلوم أن الانبياء عليهم السلام اعظم من الاولياء، والانبياء جاؤا بما تعجز العقول عن معرفته ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمحارات العقول، لا بمحالات العقول، وهؤلاء الملاحدة يدعون أن محالات العقول صحيحة، وان الجمع بين النقيضين صحيح، وأن ماخالف صريح المعقول وصحيح المنقول صحيح. ولا ريب أنهم أصحاب خيال واوهام يتخيلون في نفوسهم اموراً يتخيلونها ويتوهمونها فيظنونها ثابتة في الخارج وانما هي من خيالاتهم. والخيال الباطل يتصور فيه مالا حقيقة له. ولهذا يقولون: أرض الحقيقة هي ارض الخيال كما يقول ذلك ابن عربي وغيره ولهذا يحكون حكاية ذكرها سعيد الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض - وكان من شيوخهم -

***

وأما قوله

بيني وبينك إنيّ تزاحمني فارفع بحقك إنيي من البين

فان هذا الكلام يفسر بمعاني ثلاثة، يقوله الملحد، ويقوله الزنديق، ويقوله الصديق. فالاول مراده به رفع ثبوت إنيته حتي يقال إن وجوده هو وجود الحق وانيته هي انية الحق، فلا يقال انه غير الله ولا سواه. ولهذا قال سلف هؤلاء الملاحدة إن الحلاج نصف رجل وذلك انه لم ترفع له الانية بالمعنى فرفعت له صورة:

Marfat.com

يقولون إنه لما لم ترفع إنيته في الثبوت في حقيقة شهوده رفعت صورة . فقيل وهذا القول مع مافيه من الكفر والالحاد فهو متناقض ينقض بعضه بعضا فان قوله * بيني وبينك اني تزاحمني * خطاب لغيره . واثبات انية بينه وبين ربه وهذا اثبات امور ثلاثة ولذلك يقول * فارفع بحقك إني من البين * طلب من غيره ان يرفع انيته ، وهذا اثبات لامور ثلاثة

وهذا المعنى الباطل هو الفناء الفاسد وهو الفناء عن وجود السوى، فان هذا فيه طلب رفع الانية وهو طلب الفناء ، والفناء ثلاثة أقسام فناء عن وجود السوى ،وفناء عن شهود السوى ، وفناء عن عبادة السوى فالاول هو فناء أهل الوحدة الملاحدة كما فسروا به كلام الحلاج وهو أن يجعل الوجود وجوداً واحداً

وأما الثاني وهو الفناء عن شهود السوى فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكى عن أبي يزيد وأمثاله وهو مقام الاصطلام، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده، وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهادته، وبمذكوره عن ذكره، فيفنى من لم يكن ، ويبقى من لم يزل ، وهذا كما يحكي أن رجلا كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه في الماء فألقى المحب نفسه خلفه فقال أنا وقعت فلم وقعت أنت ؟ فقال : غبت بك عني ، فظننت أنك أني . فهذا حال من عجز عن شهود شيء من المخلوقات اذا شهد قلبه وجود الخالق ، وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين .

ومن الناس من يجعل هذا من السلوك، ومنهم من يجعله غاية السلوك، حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية ، فلا يفرقون بين المأمور والمحظور ، والمحبوب والمكروه . وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر واحكام الربوبية عن شهود الشرع والامر والنهي وعبادة الله وحده وطاعة رسوله فمن طلب رفع إنيته بهذا الاعتبار لم يكن محموداً على هذا ولكن قد يكون معذوراً

وأما النوع الثالث وهو الفناء عن عبادة السوى فهذا حال النبيين وأتباعهم

Marfat.com

وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ماسواه، وبخشيته عن خشية ماسواه . وبالتوكل عليه عن التوكل على ماسواه . فهذا تحقيق توحيد الله وحده لاشريك له وهو الحنيفية ملة ابراهيم . ويدخل في هذا أن يفنى عن اتباع هواه بطاعة الله فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يعطي إلا لله ولا يمنع إلا لله . فهذا هو الفناء الديني الشرعي الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه

ومن قال * فارفع بحقك انني من البين * بمعنى أن يرفع هوى نفسه فلا يتبع هواه ولا يتوكل على نفسه وحوله وقوته، بل يكون عمله لله لا لهواه، وعمله بالله وبقوته لا بحوله وقوته، كما قال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فهذا حق محمود . وهذا كما يحكى عن أبي يزيد أنه قال : رأيت رب العزة في المنام فقلت : خدايي (١) كيف الطريق اليك ؟ قال : اترك نفسك وتعال ـ أي اترك اتباع هواك والاعتماد على نفسك، فيكون عملك لله واستعانتك بالله كما قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه)

* * *

والقول المحكي عن ابن عربي * وبي حلفت وان المقسم الله * هو أيضا من إلحادهم وإفكهم : جعل نفسه حالفة بنفسه وجعل الحالف هو الله فهو الحالف والمحلوف به كما يقولون : أرسل من نفسه إلى نفسه رسولا بنفسه فهو المرسل والمرسل اليه والرسول . وكما قال ابن الفارض في قصيدته نظم السلوك

لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان بي صلى سواي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

إلى أن قال .

وما زلت إياها وإياي لم تزل ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

(١) خدا بضم الخاء اسم الله بالفارسية ، واضافه الى ياء المتكلم . اي يا الهي

137/70

Marfat.com

وقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
فان دعيت كنت المجيب وان أكن منادى أجابت من دعاني ولبت
إلي رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي استدلت

*
* *

وأما المنقول عن عيسى بن مريم صلوات الله عليه فهو كذب عليه وهو كلام ملحد كاذب وضعه على المسيح وهذا لم ينقله عنه مسلم ولا نصراني ، فانه لا يوافق قول النصارى؛ فان قوله: ان الله اشتاق أن يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها واني أنا ذلك النور وآدم المرآة . فهذا الكلام مع ما فيه من الكفر والالحاد متناقض وذلك أن الله سبحانه يرى نفسه كما يسمع كلام نفسه ، وهذا رسول الله ﷺ وهو عبد مخلوق لله قال لاصحابه « إني أراكم من وراء ظهري كما أراكم من بين يدي » فاذا كان المخلوق قد يرى ما خلفه وهو أبلغ من رؤية نفسه فالخالق تعالى كيف لا يري نفسه ؟ وأيضا فان شوقه الى رؤية نفسه حتى خلق آدم يقتضي أنه لم يكن في الازل يرى نفسه حتى خلق آدم ،

ثم ذلك الشوق ان كان قديما كان ينبغي أن يفعل ذلك الازل وان كان محدثا فلا بد من سبب يقتضي حدوثه ، مع أنه قد يقال الشوق أيضا صفة نقص ولهذا لم يثبت ذلك في حق الله تعالى وقد روي « طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم أشوق » وهو حديث ضعيف

وقوله : فخلق من نوره آدم وجعله كالمرآة وأنا ذلك النور وآدم هو المرآة — يقتضي أن يكون آدم مخلوقا من المسيح وهذا نقيض الواقع ، فان آدم خلق قبل المسيح ، والمسيح خلق من مريم ومريم من ذرية آدم ، فكيف يكون آدم مخلوقا من ذريته ؟ وان قيل المسيح هو نور الله فهذا القول وان كان من جنس قول النصاري

Marfat.com

فهو شر من قول النصارى ، فان النصارى يقولون : ان المسيح هو الناسوت والاهوت الذي هو الكلمة هي جوهر الابن، وهم يقولون : الاتحاد اتحاد اللاهوت والناسوت متجدد حين خلق بدن المسيح لا يقولون إن آدم خلق من المسيح إذ المسيح عندهم اسم اللاهوت والناسوت جميعا وذلك يمتنع أن يخلق منه آدم وأيضا فهم لا يقولون ان آدم خلق من لاهوت المسيح (١)

وأيضا فقول القائل: ان آدم خلق من نور الله الذي هو المسيح ان أراد به نوره الذي هو صفة لله فذلك ليس هو المسيح الذي هو قائم بنفسه اذ يمتنع أن يكون القائم بنفسه صفة لغيره ، وان أراد بنوره ماهو نور منفصل عنه فمعلوم أن المسيح لم يكن شيئا موجوداً منفصلا قبل خلق آدم ، فامتنع على كل تقدير أن يكون آدم مخلوقا من نور الله الذي هو المسيح ،

وأيضا فاذا كان آدم كالمرآة وهو ينظر الي ذاته المقدسة فيها لزم أن يكون الظاهر في آدم هو مثال ذاته لا ان آدم هو ذاته ولا مثل ذاته ولا كذاته ، وحينئذ فان كان المراد بذلك أن آدم يعرف الله تعالى فيري مثال ذاته العلمي في آدم ، فالرب تعالى يعرف نفسه فكان المثال العلمي اذا أمكن رؤيته كانت رؤيته للعلم المطابق له القائم بذاته أولى من رؤيته للعلم القائم بآدم ، وان كان المراد أن آدم نفسه مثل لله فلا يكون آدم هو المرآة بل يكون هو كالمثال الذي في المرآة ،

وأيضا فتخصيص المسيح بكونه ذلك النور هو قول النصاري الذين يخصونه بأنه الله أو ابن الله ، وهؤلاء الاتحادية ضموا الى قول النصارى قولهم بعموم الاتحاد حيث جعلوا في غير المسيح من جنس ماتقوله النصاري في المسيح

***

وأما قول ابن الفارض :

وشاهد اذا استجليت ذاتك من ترى بغير مراء في المراة الصقيلة

(١) في نسخة (وأيضاً فهم يقولون ان آدم لا هوت المسيح)

Marfat.com

أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر اليك بها عند انعكاس الاشعة ؟

فهذا تمثيل فاسد ، وذلك أن الناظر في المرآة يرى مثل نفسه فيرى نفسه بواسطة المرآة لا يرى نفسه بلا واسطة ، فقولهم بوحدة الوجود باطل وبتقدير صحته ليس هذا مطابقا له

وأيضا فهؤلاء يقولون بعموم الوحدة والاتحاد والحلول في كل شيء فتخصيصهم بعد هذا آدم أو المسيح يناقض قولهم بالعموم وانما يخص المسيح ونحوه من يقول بالاتحاد الخاص كالنصارى والغالية من الشيعة وجهال النساك ونحوهم

وأيضا فلو قدر أن الانسان يرى نفسه في المرآة فالمرآة خارجة عن نفسه فيرى نفسه أو مثال نفسه في غيره ، والكون عندهم ليس فيه غير ولا سوى ، فليس هناك مظهر مغاير للظاهر ولا مرآة مغايرة للرائي

وهم يقولون : إن الكون مظاهر الحق ، فان قالوا : المظهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة ، وإن قالوا المظاهر هي الظاهر لم يكن قد ظهر شيء في شيء ولا تجلي شيء في شيء ولا ظهر شيء لشيء ولا تجلى شيء لشيء وكان قوله : * وشاهد إذا استجليت نفسك من ترى * . . . كلاما متناقضا لان هنا مخاطبا ومخاطبا ومرآة تستجلى فيها الذات ، فهذه ثلاثة أعيان ، فان كان الوجود واحدا بالعين بطل هذا الكلام ، وكل كلمة يقولونها تنقض أصلهم

فصل

وأما ما ذكره من قول ابن اسرائيل : الامر أمران ، أمر بواسطة وأمر غير واسطة ، الى آخره ـ فمضمونه أن الامر الذي بواسطة هو الامر الشرعي الديني ، والذي بلا واسطة هو الامر القدري الكوني وجعل أحد الامرين بواسطة والآخر بغير واسطة كلام باطل ، فان الامر الديني يكون بواسطة وبغير واسطة فان الله

Marfat.com

كلم موسى وأمره بلا واسطة وكذلك كلم محمداً ﷺ وأمره ليلة المعراج، وكذلك كلم آدم وأمره بلا واسطة وهي أوامر دينيه شرعية

وأما الامر الكوني فقول القائل انه بلا واسطة خطأ، بل الله تعالى خلق الاشياء بعضها ببعض، وأمر التكوين ليس هو خطابا يسمعه المكون المخلوق فان هذا ممتنع، ولهذا قيل ان كان هذا خطابا له بعد وجوده لم يكن قد كون بكن بل كان قد تكون قبل الخطاب، وان كان خطابا له قبل وجوده فخطاب المعدوم ممتنع. وقد قيل في جواب هذا إنه خطاب لمعلوم لحضوره في العلم وان كان معدوما في العين (١)

وأما ما ذكره الفقير فهو سؤال وارد بلاريب.

* * *

وأما ماذكره عن شيخه من أن آدم كان توحيده ظاهراً وباطنا فكان قوله « لا تقرب » ظاهراً وكان أمره « بكل » باطنا (فيقال) ان أريد بكونه قال « كل » باطنا أنه أمره بذلك الباطن أمر تشريع ودين فهذا كذب وكفر. وان كان أراد أنه خلق ذلك وقدره وكونه فهذا قدر مشترك بين آدم وبين سائر المخلوقات فانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. وان قيل: ان آدم شهد الامر الكوني القدري وكان مطيعا بامتثاله له. كما يقول هؤلاء: ان العارف الشاهد للقدر لا يسقط عنه الملام. فهذا مع انه معلوم بطلانه بالضرورة من دين الاسلام فهو كفر باتفاق المسلمين. فيقال: الامر الكوني يكون موجوداً قبل وجود المكون، لا يسمعه العبد وليس امتثاله مقدوراً له، بل الرب يخلق ما كونه بمشيئته وقدرته، والله تعالى ليس

---

(١) لا يقال ان المعدوم المعلوم لا يسمع الخطاب أيضا لان هذا الخطاب (كن) تكويني لا تكليفي فهو عبارة عن ارادة الخالق وقدرته بكونه ووجوده وعبر عن أثر هذا التعلق بقوله (فيكون) والجملة تمثيل الامرين بمن يأمر بشيء فينفذ أمره عقبه بغير مهلة كما سيأتي

Marfat.com

له شريك في الخلق والتكوين. والعبد وإن كان بمشيئته وقدرته والله خالق كل ذلك ، فتكوين الله للعبد ليس هو أمراً للعبد موجود في الخارج يمكنه الامتثال، وكذلك ما خلقه من أحواله وأعماله خلقه بمشيئته وقدرته و (انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فكل ما كان من المكونات فهو داخل في هذا الامر. وأكل آدم من الشجرة، وغير ذلك من الحوادث داخل تحت هذا كدخول آدم فنفس أكل آدم هو الداخل تحت هذا الامر كما دخل آدم . فقول القائل : انه قال لآدم في الباطن «كل» مثل قوله انه قال للكافر اكفر وللفاسق افسق ، والله لا يأمر بالفحشاء ، ولا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يوجد منه خطاب باطن ولا ظاهر للكفار والفساق والعصاة بفعل الكفر والفسوق والعصيان ، وإن كان ذلك واقعا بمشيئته وقدرته وخلقه وأمره الكوني ، فالامر الكوني ليس هو أمراً للعبد أن يفعل ذلك الامر بل هو أمر تكوين لذلك الفعل في العبد، أو أمر تكوين ليكون العبد على ذلك الحال (١)

فهو سبحانه الذي خلق الانسان هلوعا (اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا) وهو الذي جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فهو سبحانه جعل العباد على الاحوال التي خلقهم عليها وأمرهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم: كونوا كذلك فيكونون كذلك كما لو قال للجماد كن فيكون (١)

فأمر التكوين لا فرق فيه بين الجماد والحيوان، وهو لا يفتقر الى علم المأمور ولا ارادته ولا قدرته ، لكن العبد قد يعلم ما جرى به القدر في أحواله كما يعلم ما جرى به القدر في أحوال غيره ، وليس في ذلك علم منه بأن الله أمره في الباطن بخلاف ما أمره به في الظاهر ، بل أمره بالطاعة باطنا وظاهرا، ونهاه عن المعصية باطنا وظاهرا، وقدر ما يكون فيه من طاعة ومعصية باطنا وظاهراً، وخلق العبد وجميع أعماله باطنا

(١) بينا آنفا انه تمثيل للخلق والتكوين ، مباين لامر التكليف

Marfat.com

وظاهرا ، وكون ذلك بقوله «كن» باطنا وظاهرا

وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر ، بل القدر يؤمن به ولايحتج به، والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض ، فان القدر ان كان حجة وعذرا لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه، وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه اذا ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمته أن لاينتصر من الظالم ولا يغضب عليه ولا يذمه . وهذا أمر ممتنع في الطبيعة لايمكن أحد أن يفعله فهو ممتنع طبعا محرم شرعا

ولو كان القدر حجة وعذرا لم يكن ابليس ملوما ولا معاقبا ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار ولا كان جهاد الكفار جائزاً ولا اقامة الحدود جائزا، ولا قطع السارق ولا جلد الزاني ولا رجمه ولا قتل القاتل ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه ،

ولما كان الاحتجاج بالقدر باطلا في فطر الخلق وعقولهم لم تذهب اليه أمة من الامم ، ولا هو مذهب أحد من العقلاء الذين يطردون قولهم فانه لايستقيم عليه مصلحة أحد، لافي دنياه ولا آخرته، ولا يمكن اثنان أن يتعاشرا ساعة واحدة ان لم يكن أحدهما ملتزما مع الآخر نوعا من الشرع ، والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده ، لكن الشرائع تتنوع فتارة تكون منزلة من عند الله كما جاءت به الرسل وتارة لاتكون كذلك ، ثم المنزلة تارة تبدل وتغير كما غير أهل الكتاب شرائعهم ، وتارة لاتغير ولا تبدل ، وتارة يدخل النسخ في بعضها وتارة لايدخل

وأما القدر فانه لايحتج به أحد إلا عند اتباع هواه، فاذا فعل فملاحرما بمجرد هواه وذوقه ووجده من غير أن يكون له علم بحسن الفعل ومصلحته استند الى القدر كما قال المشركون (لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا . قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل فلله الحجة البالغة فلو شاء

Marfat.com

لهداكم أجمعين) فبين أنهم ليس عندهم علم بما كانوا عليه من الدين وانما يتبعون الظن . والقوم (١) لم يكونوا ممن يسوغ لكل أحد الاحتجاج بالقدر، فانه لو خرب أحد الكعبة أو شتم ابراهيم الخليل أو طعن في دينهم لعادوه وآذوه ، كيف وقد عادوا النبي ﷺ على ماجاء به من الدين . وما فعله هو أيضاً من المقدور . فلو كان الاحتجاج بالقدر حجة لكان للنبي ﷺ وأصحابه . فان كان كل مايحدث في الوجود فهو مقدر ، فلحق والمبطل يشتركان في الاحتجاج بالقدر إن كان الاحتجاج به صحيحا ، ولكن كانوا يعتمدون على مايعتقدونه من جنس دينهم وهم في ذلك يتبعون الظن ليس لهم به علم بل هم يخرصون

وموسى لما قال لآدم «لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟» فقال آدم عليه السلام فيما قال لموسى: لمَ تلومني على أمر قدره الله على قبل أن أخلق بأربعين عاما ؟ فحج آدم موسى» لم يكن آدم عليه السلام محتجا على فعل ما نهي عنه بالقدر، ولا كان موسى ممن يحتج عليه بذلك فيقبله، بل آحاد المؤمنين لا يفعلون مثل هذا ، فكيف آدم وموسى ؟ وآدم قد تاب مما فعل واجتباه ربه وهدي ، وموسى أعلم بالله من أن يلوم من هو دون نبي على فعل تاب منه . فكيف بنبي من الانبياء ؟ وآدم يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يحتج الى التوبة ولم يجر ماجرى من خروجه من الجنة وغير ذلك ، ولو كان القدر حجة لكان لابليس وغيره، وكذلك موسى يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يعاقب فرعون بالغرق ولا بنو اسرائيل بالصعقة وغيرها ، كيف وقد قال موسى (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وقال (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وهذا باب واسع

وانما كان لوم موسى لآدم من أجل المصيبة التي لحقتهم بآدم من أكل الشجرة ولهذا قال : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ واللوم لاجل المصيبة التي لحقت

(١) أي الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا الخ

Marfat.com

الانسان نوع، واللوم لاجل الذنب الذي هو حق الله نوع آخر ، فان الاب لو فعل فعلا افتقر به ختي تضرر بنوه فأخذوا يلومونه لاجل ما لحقهم من الفقر لم يكن هذا كلومه لاجل كونه أذنب . والعبد مأمور أن يصبر على المقدور، ويطيع المامور ، واذا أذنب استغفر . كما قال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال طائفة من السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم (١)

فمن احتج بالقدر على ترك المامور ، وجزع من حصول مايكرهه من المقدور فقد عكس الايمان والدين ، وصار من حزب الملحدين المنافقين ، وهذا حال المحتجين بالقدر فان أحدهم اذا أصابته مصيبة عظم جزعه وقل صبره، فلاينظر الى القدر ولايسلم له ،واذا أذنب ذنبا أخذ يحتج بالقدر، فلايفعل المأمور ، ولا يترك المحظور،ولايصبر على المقدور ، ويدعي مع هذا انه من كبار أولياء الله المتقين،وأئمة المحققين الموحدين ، وانما هو من أعداء الله الملحدين ، وحزب الشيطان اللعين .

وهذا الطريق انما يسلكه أبعد الناس عن الخير والدين والايمان ، تجد أحدهم أجبر الناس اذا قدر ، وأعظمهم ظلما وعدوانا ، وأذل الناس اذا قهر ، وأعظمهم جزعا ووهنا . كما جربه الناس من الاحزاب البعيدين عن الايمان بالكتاب من أصناف الناس . والمؤمن ان قدر عدل وأحسن ، وان قهر وغلب صبر واحتسب ، كما قال كعب بن زهير في قصيدته التي أنشدها للنبي ﷺ ، التي أولها بانت سعاد الخ - في صفة المؤمنين :

---

(١) أي يرضى من الله فلا يعترض ولا يسخط ، ولا يلزم من رضاه بالقدر ان يرضي بالمقدور ولا يقاومه بل يجب عليه مقاومة المرض بالتداوى وتخريب الصواعق أو الظالمين بالتعمير ومقاومة المعتدين بازالة عدوانهم ولو بالقتال. خلافا لما يقوله جهلة المتصوفة

Marfat.com

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم يوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا

وسئل بعض العرب عن شيء من أمر النبي ﷺ فقال: رأيته يَغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، وقد قال تعالى (قالوا أإنك لانت يوسف؟ قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) وقال تعالى (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) فذكر الصبر والتقوي في هذه المواضع الاربعة فالصبر يدخل فيه الصبر على المقدور، والتقوي يدخل فيها فعل المأمور وترك المحظور. فمن رزق هذا وهذا فقد جمع له الخير، بخلاف من عكس فلا يتقي الله بل يترك طاعته متبعا لهواه ويحتج بالقدر، ولا يصبر اذا ابتلي ولا ينظر حينئذ الى القدر، فان هذا حال الاشقياء كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به. يقول أنت اذا أطعت جعلت نفسك خالقا لطاعتك فتنسى نعمة الله عليك أن جعلك مطيعا له، واذا عصيت لم تعترف بانك فعلت الذنب بل تجعل نفسك بمنزلة المجبور عليه بخلاف مراده أو المحرك الذي لا ارادة له ولا قدرة ولا علم: وكلاهما خطأ

وقد ذكر أبو طالب المكي عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال: اذا عمل العبد حسنة فقال: أي ربي أنا فعلت هذه الحسنة، قال له ربه أنا يسرتك لها وأنا أعنتك عليها. فان قال أي ربي أنت أعنتني عليها ويسرتني لها، قال له ربه: أنت عملتها وأجرها لك. واذا فعل سيئة فقال أي ربي أنت قدرت علي هذه السيئة. قال له ربه: أنت اكتسبتها وعليك وزرها. فان قال أي ربي اني أذنبت هذا الذنب وأنا أتوب منه، قال له ربه. أنا قدرته عليك وأنا أغفره لك. وهذا باب مبسوط في غير هذا الموضع

Marfat.com

وقد كثر في كثير من المنتسبين لى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط من غير شهود الامر والنهي والاستناد اليه في ترك المأمور وفعل المحظور ، وهذا أعظم الضلال . ومن طرد هذا القول والتزم لوازمه كان أكفر من اليهود والنصارى والمشركين لكن أكثر من يدخل في ذلك يتناقض ولا يطرد قوله

وقول هـذا القائل هو من هذا الباب فقوله : آدم كان أمره بكل باطنا فأكل ، وابليس كان توحيده ظاهراً فأمر بالسجود لآدم فرآه غيراً فلم يسجد فغير الله عليه وقال (اخرج منها) الآية ـ فان هذا مع ما فيه من الالحاد كذب على آدم وابليس ، فآدم اعترف بانه هو الفاعل للخطيئة وانه هو الظالم لنفسه وتاب من ذلك ولم يقل ان الله ظالمي ، ولا ان الله أمرني في الباطن بالاكل ، قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وقال تعالى (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وابليس أصر واحتج بالقدر فقال (ربي بما أغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين)

وأما قوله رآه غيراً فلم يسجد ـ فهذا شر من الاحتجاج بالقدر ، فان هذا قول أهل الوحدة الملحدين وهو كذب على ابليس فان ابليس لم يمتنع من السجود لكونه غيراً بل قال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ولم تؤمر الملائكة بالسجود لكون آدم ليس غيراً ، بل المغايرة بين الملائكة وآدم ثابتة معروفة والله تعالى (علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) وكانت الملائكة وآدم معترفين بأن الله مباين لهم وهم مغايرون له ، ولهـذا دعوه دعاء العبد ربه ، فآدم يقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) والملائكة تقول (لاعلم لنا إلا ما علمتنا) وتقول (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) الآية وقد قال تعالى

Marfat.com

(أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعَم) وقال (أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا) فلو لم يكن هناك غير لم يكن المشركون أمروه بعبادة غير الله ، ولا اتخاذ غير الله وليا ولا حكما ، فلم يكونوا يستحقون الانكار ، فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته واتخاذه ولياً وحكما ، وانه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما قال تعالى (ولا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين) وقال (لاتجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموما مخذولا) وأمثال ذلك

*
* *

وأما قول القائل: ان قوله (ليس لك من الامر شيء) عين الاثبات للنبي ﷺ كقوله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم) فهذا بناء على قول أهل الوحدة والاتحاد ، يجعل معنى قوله (ليس لك من الامر شيء) أن فعلك هو فعل الله لعدم المغايرة ، وهذا ضلال عظيم من وجوه

(أحدها) ان قوله (ليس لك من الامر شيء) نزل في سياق قوله (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين * ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وقد ثبت في الصحيح ان النبي ﷺ كان يدعو على قوم من الكفار أو يلعنهم في القنوت ، فلما أنزل الله هذه الآية ترك ذلك ، فعلم ان معناها إفراد الرب تعالى بالامر وانه ليس لغيره أمر بل ان شاء الله تعالى قطع طرفا من الكفار ، وإن شاء كبتهم فانقلبوا بالخسارة ، وإن شاء تاب عليهم ، وإن شاء عذبهم . وهذا كما قال في الآية الأخرى (قل لا أملك لنفسي نفعاً

Marfat.com

ولا ضرا إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) ونحو ذلك قوله تعالى (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) (قل ان الامر كله لله)

(الوجه الثاني) ان قوله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) لم يرد به ان فعل العبد هو فعل الله تعالى كما تظنه طائفة من الغالطين ، فان ذلك لو كان صحيحاً لكان ينبغي أن يقال لكل أحد، حتى يقال للماشي : ما مشيت إذ مشيت ولكن الله مشى . ويقال للراكب : ما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب . ويقال للمتكلم : ما تكلمت إذ تكلمت ولكن الله تكلم؛ ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلي ونحو ذلك . وطرد ذلك يستلزم أن يقال للكافر ما كفرت إذ كفرت ولكن الله كفر . ويقال للكاذب ما كذبت إذ كذبت ولكن الله كذب . ومن قال مثل هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين . ولكن معنى الآية ان النبي ﷺ يوم بدر رماهم ولم يكن في قدرته أن يوصل الرمي الى جميعهم فانه إذ رماهم بالتراب وقال « شاهت الوجوه » لم يكن في قدرته أن يوصل ذلك اليهم كلهم ، فالله تعالى اوصل ذلك الرمي اليهم كلهم بقدرته . يقول وما اوصلت إذ حذفت ولكن الله اوصل ، فالرمي الذي اثبته له ليس هو الرمي الذي نفاه عنه فان هذا مستلزم للجمع بين النقيضين بل نفى عنه الايصال والتبليغ، واثبت له الحذف والالقاء ، وكذلك اذا رمى سهما فأوصله الله الى العدو ايصالا خارقا للعادة كان الله هو الذي أوصلها بقدرته

(الوجه الثالث) انه لو فرض ان المراد بهذه الآية أن الله خالق افعال العباد فهذا المعنى حق وقد قال الخليل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) فالله هو الذي جعل المسلم مسلما وقال تعالى (ان الانسان خلق هلوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا) فالله هو الذي خلقه هلوعا ، لكن ليس في هذا ان الله هو العبد . ولا أن

Marfat.com

وجود الخالق هو وجود المخلوق ، ولا أن الله حال في العبد، فالقول بأن الله خالق افعال العباد حق، والقول بأن الخالق حال في المخلوق او وجوده وجود المخلوق باطل

وهؤلاء ينتقلون من القول بتوحيد الربوبية الى القول بالحلول والاتحاد ، وهذا عين الضلال والالحاد

﴿ الوجه الرابع ﴾ أن قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) لم يرد به أنك أنت الله، وانما أراد انك أنت رسول الله ومبلغ امره ونهيه، فمن بايعك فقد بايع الله ، كما أن من أطاعك فقد أطاع الله. ولم يرد بذلك أن الرسول هو الله ولكن الرسول أمر بما أمر الله به، فمن أطاعه فقد أطاع الله ، كما قال النبي ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني » ومعلوم أن أميره ليس هو إياه

ومن ظن في قوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) أن المراد به أن فعلك هو فعل الله، أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك. فهو مع جهله وضلاله بل كفره والحاده ، قد سلب الرسول خاصيته وجعله مثل غيره ، وذلك أنه لو كان المراد به كون الله فاعلا لفعلك لكان هذا قدراً مشتركا بينه وبين سائر الخلق. وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله ومن بايع مسيلمة فقد بايع الله ومن بايع قادة الاحزاب فقد بايع الله ، وعلى هذا التقدير فالمبايع هو الله أيضا، فيكون الله قد بايع الله ، إذ الله خالق لهذا ولهذا ، وكذلك إذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد فانه عام عندهم في هذا وهذا فيكون الله قد بايع الله .

وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية الاتحادية، حتى إن أحدهم إذا أمر بقتال العدو يقول أقاتل الله ؟ ما أقدر أن اقاتل الله ، ونحو هذا الكلام الذي سمعناه من شيوخهم وبينا فساده لهم وضلالهم فيه غير مرة

وأما الحلول الخاص فليس هو قول هؤلاء بل هو قول النصارى ومن وافقهم

Marfat.com

من الغالية (١) وهو باطل أيضا ، فان الله سبحانه قال له (ليس لك من الامر شيء) وقال (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) وقال (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) وقال (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) وقال (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيما)

فقوله (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) بين قوله (إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ولهذا قال (يد الله فوق أيديهم) ومعلوم ان يد النبي ﷺ كانت مع أيديهم ، كانوا يصافحونه ويصفقون على يده في البيعة ، فلم ان يد الله فوق أيديهم ليست هي يد النبي ﷺ ولكن الرسول عبد الله ورسوله فبايعهم عن الله وعاهدهم وعاقدهم عن الله ، فالذين بايعوه بايعوا الله الذي أرسله وأمره ببيعتهم ، الا ترى أن كل من وكل شخصا بعقد مع الوكيل كان ذلك عقداً مع الموكل ، ومن وكل نائبا له في معاهدة قوم فعاهدهم عن مستنيبه كانوا معاهدين لمستنيبه ، ومن وكل رجلا في نكاح أو تزويج كان الموكل هو الزوج الذي وقع له العقد ؟ وقد قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية ، ولهذا قال في تمام الآية (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما)

فتبين أن قول ذلك الفقير هو القول الصحيح وان الله إذا كان قد قال لنبيه (ليس لك من الامر شيء) فايش نكون نحن ؟ وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

* * *

(١) أي غالية الرافضة وهم الباطنية

Marfat.com

وأما قول القائل:

ماغبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين

فهذا القول مبني على قول هؤلاء وهو باطل متناقض فان مبناه على انه يرى الله بعينه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحداً من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ مع أن جماهير الائمة على انه لم يره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ والصحابة وأئمة المسلمين

ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الامام أحمد وأمثالهما انهم قالوا ان محمداً رأى ربه بعينه بل الثابت عنهم إما اطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة انه رآه بعينه، وقوله « أتاني البارحة ربي في أحسن صورة » الحديث الذي رواه الترمذي وغيره انما كان بالمدينة في المنام، هكذا جاء مفسرا وكذلك حديث أم الطفيل وحديث ابن عباس وغيرهما مما فيه رؤية ربه انما كان بالمدينة كما جاء مفسراً في الاحاديث، والمعراج كان بمكة كما قال تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع .

وقد ثبت بنص القرآن ان موسى قيل له (لن تراني) وأن رؤية الله أعظم من انزال كتاب من السماء، كما قال تعالى (يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة) فمن قال ان أحداً من الناس يراه فقد زعم انه أعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى ان الله أنزل عليه كتابا من السماء

والناس في رؤية الله على ثلاثة أقوال . فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على

Marfat.com

أن الله يرى في الآخرة بالابصار عيانا ، وأن أحداً لا يراه في الدنيا بعينه لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب من المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها . ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه حتى يظن انه رأى ذلك بعينه وهو غالط ومشاهدات القلوب تحصل بحسب ايمان العبد ومعرفته في صورة مثالية كما قد بسط في غير هذا الموضع (والقول الثاني) قول نفاة الجهمية إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة (والثالث) قول من يزعم انه يرى في الدنيا والآخرة

وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والاثبات فيقولون : انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وانه يرى في الدنيا والآخرة. وهذا قول ابن عربى صاحب الفصوص وأمثاله لان الوجود المطلق الساري في الكائنات لا يرى وهو وجود الحق عندهم ثم من أثبت الذوات قال يرى متجليا فيها ، ومن فرق بين المطلق والمعين قال لا يرى الا مقيدا بصورة

وهؤلاء قولهم دائر بين أمرين : انكار رؤية الله واثبات رؤية المخلوقات ويجعلون المخلوق هو الخالق ، أو يجعلون الخالق حالا في المخلوق. والافتفريقهم بين الاعيان الثابتة في الخارج وبين وجودها هو قول من يقول بان المعدوم شيء في الخارج وهو قول باطل . وقد ضموا اليه انهم جعلوا نفس وجود المخلوق هو وجود الخالق وأما التفريق بين المطلق والمعين مع أن المطلق لا يكون هو في الخارج مطلقا فيقتضي أن يكون الرب معدوما وهذا هو جحود الرب وتعطيله وان جعلوه ثابتا في الخارج جعلوه جزءا من الموجودات فيكون الخالق جزءا من المخلوق او عرضا قائما بالمخلوق . وكل هذا مما يعلم فساده بالضرورة ، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع

واما تناقضه فقوله:

ماغبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين

يقتضي المغايرة وان المخاطب غير المخاطب وان المخاطب له عين وقلب لا يغيب

Marfat.com

عنهما المخاطب بل يشهده القلب والعين والشاهد غير المشهود

وقوله * مابينكم وبيننا من بين * فيه اثبات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وهذا اثبات لاثنين ، وان قالوا هذه مظاهر ومجالي . قيل فان كانت المظاهر والمجالي غير الظاهر والمتجلي فقد ثبتت التثنية وبطلت الوحدة ، وان كان هو اياها فقد بطل التعدد فالجمع بينهما تناقض .

***

وقول القائل

فارق ظلم الطبع وكن متحدا بالله والا فكل دعواك محال

ان أراد الاتحاد المطلق فالمفارق هو المفارق وهو الطبع وظلم الطبع وهو المخاطب بقوله «وكن متحدا بالله» وهو المخاطب بقوله «كل دعواك محال» وهو القائل هذا القول، وفي ذلك من التناقض مالايخفي . وان أراد الاتحاد المقيد فهو ممتنع لان الخالق والمخلوق اذا اتحدا فان كانا بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبل الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد، وان كانا استحالا الي شيء ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ، ونحو ذلك مما يثبته النصارى بقولهم في الاتحاد لزم من ذلك أن يكون الخالق قداستحال وتبدلت حقيقته كسائر مايتحد مع غيره فانه لابد أن يستحيل وهذا ممتنع على الله تعالى ينزه عنه لان الاستحالة تقتضى عدم ما كان موجودا والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له، يمتنع العدم على شيء من ذلك ،ولان صفات الرب اللازمة له صفات كمال، فعدم شيء منها نقص يتعالى الله عنه ، ولان اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي أن العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق ، فان العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل والرب تعالى يلازمه القدم والغنى والعزة ، وهو سبحانه قديم غني عزيز بنفسه يستحيل عليه نقيض ذلك فاتحاد أحدهما بالآخر يقتضي أن يكون الرب متصفا

Marfat.com

بنقيض صفاته من الحدوث والفقر والذل ،والعبد متصفا بنقيض صفاتهمن القد
والغنى الذاتي والعز الذاتي . وكل ذلك ممتنع . وبسطهذا يطول

ولهذا سئل الجنيد عن التوحيد فقال : التوحيد افراد الحدوث عن القدم
فبين أنه لابد من تميز المحدث عن القديم

ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقا
شيء من ذاته ولافي ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد (إن كل
من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا *
وكلهم آتية يوم القيامة فردا)

فان كان المتكلم بهذا البيت أراد الاتحاد الوصفي وهو أن يحب العبد مايحبه
الله . ويبغض ما يبغضه الله . ويرضى بما يرضى الله . ويغضب لما يغضب الله .
ويامر بما يامر الله . وينهى عما ينهى الله عنه . ويوالى من يواليه الله . ويعادي
من يعاديه الله . ويحب لله . ويبغض لله . ويعطي لله . ويمنع لله . بحيث يكون
موافقا لربه تعالى . فهذا المعنى حق وهو حقيقة الايمان وكماله ، كما في الحديث
الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « يقول الله تعالى
من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب الى عبدي بمثل أداء ماافترضت
عليه . ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنو فل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه
الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ،ويده التي يبطش بها ،ورجله التي يمشي
بها ، فبي يسمع وبي يبصرو بي يبطش وبى يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ولئن
استعاذني لاعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي
المؤمن ،يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه »

وهذا الحديث يحتج به اهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة .
(منها) انه قال « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة » فأثبت نفسه ووليه

Marfat.com

ومعادي وليه وهؤلاء ثلاثة ، ثم قال « وما تقرب إلي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » فأثبت عبداً يتقرب اليه بالفرائض ثم بالنوافل، وانه لايزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه فاذا أحبه كان العبد يسمع به ويبصر به ويبطش به ويمشي به

وهؤلاء عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه ، لايخصون ذلك بالاعضاء الاربعة المذكورة في الحديث فالحديث مخصوص بحال مقيد، وهم يقولون بالاطلاق والتعميم ، فأين هذا من هذا؟

وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح «ان الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه . ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها في اول مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا » فيجعلون هذا حجة لقولهم انه يرى في الدنيا في كل صورة بل هو كل صورة .

وهذا الحديث حجة عليهم في هذا أيضا ، فانه لافرق عندهم بين الدنيا والآخرة وهو عندهم في الآخرة المنكرون (١) الذين قالوا نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. وهؤلاء الملاحدة يقولون ان العارف يعرفه في كل صورة. فان الذين أنكروه يوم القيامة في بعض الصور كان لقصور معرفتهم. وهذا جهل منهم فان الذين أنكروه يوم القيامة ثم عرفوه لما تجلى لهم في الصورة التي رأوه فيها اول مرة هم الانبياء والمؤمنون، وكان انكارهم مما حمدهم سبحانه وتعالى عليه ، فانه امتحنهم بذلك حتى لايتبعوا غير الرب الذي عبدوه ، فلهذا قال في الحديث « وهو يسألهم ويثبتهم وقد نادى المنادي : ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون »

---

(١) أي هو تعالى عين الذين ذكر في الحديث انهم ينكرونه حين يجيئهم على غير الصورة التي رأوه عليها في أول مرة

Marfat.com

ثم يقال لهؤلاء الملاحدة : اذا كان عندكم هو الظاهر في كل صورة ، فهو المنكر وهو المنكر ، كما قال بعض هؤلاء لا خر : من قال لك ان في الكون سوى الله فقد كذب ، وقال له الآخر فمن هو الذي كذب ؟ وذكر ابن عربي انه دخل على مريد له في الخلوة وقد جاءه الغائط فقال ما أبصر غيره ابول عليه، فقال له شيخه فالذي يخرج من بطنك من أين هو ؟ قال: فرجت عني . ومر شيخان منهم التلمساني هذا والشيرازي على كلب أجرب ميت فقال الشيرازي للتلمساني : هذا أيضا من ذاته ؟ فقال التلمساني هل ثم شيء خارج عنها ؟ وكان التلمساني قد اضل شيخا زاهداً عابداً ببيت المقدس يقال له ابو يعقوب المغربي المبتلى، حتى كان يقول : الوجود واحد ، وهو الله ، ولا أرى الواحد ، ولا أرى الله. ويقول نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود والوجود واحد لاثنوية فيه . ويجعل هذا الكلام له تسبيحا يتلوه كما يتلو التسبيح

*
* *

وأما قول الشاعر:

اذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
فشاهد حقا حين يشهده الهوى بان صلاة العارفين من الكفر

فهذا الكلام مع انه كفر هو كلام جاهل لا يتصور مايقول، فان الفناء والغيب هو أن يغيب بالمذكور عن الذكر وبالمعروف عن المعرفة وبالمعبود عن العبادة حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، وهذا مقام الفناء الذي يعرض لكثير من السالكين لعجزهم عن كمال الشهود المطابق للحقيقة ، بخلاف الفناء الشرعي فضمونه الفناء بعبادته عن عبادة ماسواه وبحبه عن حب ماسواه . وبخشيته عن خشية ماسواه . وبطاعته عن طاعة ماسواه . فان هذا تحقيق التوحيد والايمان

(وأما النوع الثالث) من الفناء وهو الفناء عن وجود السوى بحيث يرى

Marfat.com

أن وجود الخالق هو وجود المخلوق ـ فهذا هو قول هؤلاء الملاحدة اهل الوحدة.

والمقصود هنا أن قوله: يغيب عن المذكور، كلام جاهل، فان هذا لا يحمد أصلا، بل المحمود أن يغيب بالمذكور عن الذكر لا يغيب عن المذكور في سطوات الذكر اللهم الا أن يريد انه غاب عن المذكور فشهد المخلوق وشهد انه الخالق ولم يشهد الوجود إلا واحداً ونحو ذلك من المشاهد الفاسدة. فهذا شهود اهل الالحاد لا شهود الموحدين. ولعمري ان من شهد هذا الشهود الالحادي فانه يرى صلاة العارفين من الكفر.

*
* *

واما قول القائل:

الكون يناديك، اما تسمعني من ألف أشتاتي ومن فرقتي
انظر لتراني منظراً معتبراً مافيَّ سوى وجوده من أوجدني

فهو من أقوال هؤلاء الملاحدة وأقوالهم كفر متناقض باطل في العقل والدين فانه إذا لم يكن فيه الا وجود من أوجده كان ذلك الوجود هو الكون المنادي وهو المخاطب المنادى وهو الاشتات المؤلفة المفرقة، وهو المخاطب الذي قيل له: انظر. وحينئذ يكون الوجود الواجب القديم الازلي قد أوجب نفسه وفرقها وألفها. فهذا جمع بين النقيضين فان الواجب بنفسه لا يكون مفعولا مصنوعا، والشيء الواحد لا يكون خالقا مخلوقا، قديما محدثا، واجبا بنفسه واجبا بغيره، فان هذا جمع بين النقيضين

فالواجب هو الذي لا تقبل ذاته العدم، والممكن هو الذي تقبل ذاته العدم، فيمتنع أن يكون الشيء الواحد قابلا للعدم غير قابل للعدم، والقديم هو الذي لا اول لوجوده والمحدث هو الذي له أول. فيمتنع كون الشيء الواحد قديما محدثا ولولا ان قد علم مرادهم بهذا القول لأمكن أن يراد بذلك: مافي سوى

Marfat.com

الوجودوجود الذي أوجدني ، وتكون إضافة الوجود الى الله إضافة الملك ، لكنه قد علم انه لم يرد هذا ، ولان هذه العبارة لاتستعمل في هذه المعنى، وانما يراد بوجود الله وجود ذاته لا وجود مخلوقاته وهكذا قول القائل :

ذات وجود الـ ـكون للخلق شهود
أن ليس لموجو د سوى الحق وجود

مراده أن وجود الكون هو نفس وجود الحق،وهذا هو قول أهل الوحدة، والا فلو أراد أن وجود كل موجود من المخلوقات هو من الحق تعالى فليس لشيء وجود من نفسه ، وانما وجوده من ربه والاشياء باعتبار أنفسها لاتستحق سوى العدم وانما حصل لها الوجود من خالقها وبارئها ، فهي دائمة الافتقار اليه لا تستغني عنه لحظة لا في الدنيا ولا في الآخرة — لكان قد أراد معنى صحيحا وهو الذي عليه أهل العقل والدين من الاولين والآخرين .

وهؤلاء القائلون بالوحدة قولهم متناقض ولهذا يقولون الشيء ونقيضه والا فقوله : منه والى علاه يبدي ويعيد . يناقض الوحدة ، فمن هو البادي والعائد منه واليه إذا لم يكن الا واحداً ؟ وقوله :

وما أنا في طراز الكون شيء لاني مثل ظـل مستحيل

يناقض الوحدة،لان الظل مغاير لصاحب الظل،فاذا شبه المخلوق بالظل لزم اثنين، كما إذا شبهه بالشعاع،فان شعاع الشمس ليس هو نفس قرص الشمس وكذلك إذا شبهه بضوء السراج وغيره

والنصارى تشبه الحلول والاتحاد بهذا

(وقلت) لمن حضرني منهم وتكلم بشيء من هذا : فاذا كنتم تشبهون المخلوق بالشعاع الذي للشمس والنار والخالق بالنار والشمس،فلا فرق في هذا بين المسيح وغيره فان كل ما سوى الله على هذا هو بمنزلة الشعاع والضوء فما الفرق

Marfat.com

بين المسيح وبين ابراهيم وموسى ؟ بل ما الفرق بينه وبين المخلوقات على هذا ؟ وجعلت أردد عليه هذا الكلام . وكان في المجلس جماعة حتى فهمه فهما جيدا وتبين له وللحاضرين أن قولهم باطل لا حقيقة له، وان ما أثبتوه للمسيح إما ممتنع في حق كل أحد وإما مشترك بين المسيح وغيره . وعلى التقديرين فتخصيص المسيح بذلك باطل

(وذكرت له) أنه ما من آية جاء بها المسيح الا وقد جاء موسى باعظم منها ، فان المسيح ﷺ وان كان جاء باحياء الموتى فالموتى الذين أحياهم الله على يد موسى اكثر كالذين قالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فأخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله بعد موتهم كما قال (ثم بعثناكم من بعد موتكم) . وكالذي ضرب ببعض البقرة ، وغير ذلك ، وقد جاء باحياء الموتى غير واحد من الانبياء والنصارى يصدقون بذلك . وأما جعل العصا حية فهي أعظم من احياء الميت فان الميت كانت فيه حياة فردت الحياة الى محل كانت فيه الحياة . وأما جعل خشبة يابسة حية، انما تبتلع العصي والحبال فهذا أبلغ في القدرة والامر فان لله يحيي الموتي ولا يجعل الخشب حياة

واما انزال المائدة من السماء فقد كان ينزل على قوم موسى كل يوم من المن والسلوى وينبع لهم من الحجر من الماء ما هو أعظم من ذلك، فان الحلوى واللحم ذاك هو أجل في نوعه وأعظم في قدره مما كان على المائدة من الزيتون والسمك وغيرهما (١)

(١) لا يوجد في الاناجيل ولا غيرها من كتب النصارى ذكر لانزال مائدة من السماء وانما فيها ان المسيح أطعم العدد الكثير في عيد الفصح من خبز وسمك قليل كما حصل من نبينا ﷺ يوم الخندق وغيره ، فاما يراد هذا بنزول المائدة عليهم من السماء بمعنى انها بقدرة الله وإما ان المائدة لم تنزل لعدم قبولهم بالشرط الذي قيد الله نزولها به كما قال بعض المفسرين من السلف (راجع تفسير آخر سورة المائدة من تفسير المنار)

Marfat.com

وذكرت له نحوا من ذلك مما يبين أن تخصيص المسيح بالاتحاد ودعوى الالهية ليس له وجه، وان سائر ما يذكر فيه اما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من المخلوقات، واما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من الانبياء والرسل، مع أن بعض الرسل كابراهيم وموسى قد يكون أكمل في ذلك منه، وأما خلقه من امرأة بلا رجل فخلق حواء من رجل بلا امرأة أعجب من ذلك، فانه خلق من بطن امرأة، وهذا معتاد، بخلاف الخلق من ضلع رجل فان هذا ليس بمعتاد. فما من أمر يذكر في المسيح ﷺ الا وقد شركه فيه أو فيما هو أعظم منه غيره من بني آدم، فعلم قطعا ان تخصيص المسيح باطل وان ما يدعونه له ان كان ممكنا فلا اختصاص له به وان كان ممتنعا فلا وجود له فيه ولا في غيره، ولهذا قال هؤلاء الاتحادية: ان النصارى إنما كفروا بالتخصيص، وهذا أيضا باطل. فان في الاتحاد عموما وخصوصا

والمقصود هنا ان تشبيه الاتحادية أحدهم بالظل المستحيل يناقض قولهم بالوحدة وكذلك قول الاخر:

أحن اليه وهو قلبي وهل يرى ... سواي أخو وجد يحن لقلبه

ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري ... وما بعده الا لافراط قربه

هو مع ماقصده به من الكفر والالحاد كلام متناقض، فان حنين الشيء الى ذاته متناقض، ولهذا قال: وهل يرى سواي أخو وجد يحن لقلبه؟ وقوله: وما بعده الا لافراط قربه * متناقض، فانه لا قرب ولا بعد عند أهل الوحدة، فانها تقتضي اثنين يقرب أحدهما من الآخر والواحد لا يقرب من ذاته ولا يبعد من ذاته

*
* *

وأما قول القائل: التوحيد لا لسان له والالسنة كلها لسانه — فهذا أيضا من قول أهل الوحدة، وهو مع كفره قول متناقض، فانه قد يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد، وأن أقوال المشركين

Marfat.com

الذين قالوا (لاتذرُنَّ آلهتكم ولا تذرن وَدا ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا) والذين قالوا (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)والذين قالوا (ومانحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) والذين قالوا (حرقوه وانصروا آلهتكم) ونحو هؤلاء ليس هذا هو لسان التوحيد

وأما تناقض هذا القول على أصلهم، فان الوجود إن كان واحداً كان إثبات التعدد تناقضاً، فاذا قال القائل : الوجود واحد ، وقال الآخر : ليس بواحد بل متعدد ، كان هذان القولان متناقضين فيمتنع أن يكون أحدهما هو الآخر . وإذا قال قائل: الالسنة كلها لسانه فقد صرح بالتعدد في قوله : الالسنة كلها ، وذلك يقتضي أن لايكون هذا اللسان هو هذا اللسان ، فثبت التعدد وبطلت الوحدة . وكل كلام لهؤلاء وغيرهم فانه ينقض أصلهم فانهم مضطرون الى اثبات التعدد

فان قالوا : الوجود واحد بمعنى أن الموجودات اشتركت في مسمى الوجود فهذا صحيح ،لكن الموجودات المشتركات في مسمى الواحد لا يكون وجود هذا عين وجود هذا ، بل هذا اشتراك في الاسم العام الكلي ، كالاشتراك في الاسماء التي يسميها النحاة اسم الجنس ، ويقسمها المنطقيون الى جنس ونوع وفصل وخاصة وعرض عام ، فالاشتراك في هذه الاسماء هو مستلزم لتباين الاعيان وكون أحد المشتركين ليس هو الآخر .وهذا مما يعلم به أن وجود الحق مباين لوجود المخلوقات، فانه أعظم من مباينة هذا الموجود لهذا الموجود ، فاذا كان وجود الفلك مبايناً مخالفاً لوجود الذرة والبعوضة فوجود الحق تعالى أعظم مباينة لوجود كل مخلوق من مباينة وجود ذلك المخلوق لوجود مخلوق آخر .

وهذا وغيره مما يبين بطلان قول ذلك الشيخ حيث قال: لا يعرف التوحيد الا الواحد ، ولا تصح العبارة عن التوحيد .وذلك انه لا يعبر عنه الا بغير، ومن

Marfat.com

أثبت غيراً فلا توحيد له — فان هذا الكلام مع كفره متناقض ، فان قوله : لا يعرف التوحيد الا واحد ، يقتضي أن هناك واحدا يعرفه وان غيره لا يعرفه ، هذا تفريق بين من يعرفه ومن لا يعرفه ، واثبات اثنين أحدهما يعرفه والآخر لا يعرفه واثبات المغايرة بين من يعرفه ومن لا يعرفه ، فقوله بعد هذا : ومن أثبت غيرا فلا توحيد له ، كلام متناقض يناقض هذا

وقوله: إنه لا تصح العبارة عن التوحيد ، كفر باجماع المسلمين ، فان الله قد عبر عن توحيده ورسوله عبر عن توحيده ، والقرآن مملوء من ذكر التوحيد ، بل انما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد . وقد قال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون) ولو لم يكن يصح عنه عبارة لما نطق به أحد . وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد كما قال النبي ﷺ « افضل الذكر لا إله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله » وقال « من كان اول كلامه لا إله الا الله دخل الجنة »

لكن التوحيد الذي يشير اليه هؤلاء الملاحدة وهو وحدة الوجود أمر ممتنع في نفسه لا يتصور تحققه في الخارج ، فان الوحدة العينية الشخصية تمتنع في الشيئين المتعددين ، ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن الاسم الموجود اسم عام يتناول كل أحد ، كما ان اسم الجسم والانسان ونحوهما يتناول كل جسم وكل إنسان ، وهذا الجسم ليس هو ذاك وهذا الانسان ليس هو ذاك وكذلك هذا الوجود ليس هو ذاك

وقوله : لا يعبر عنه الا بغير ، يقال له (أولا) التعبير عن التوحيد يكون بالكلام ، والله يعبر عن توحيده بكلامه فكلام الله وعلمه وقدرته وغير ذلك من صفاته لا يطلق عليه عند السلف والأئمة القول بانه الله ولا يطلق

Marfat.com

عليه بانه غير الله، لان لفظ الغير قد يراد به ما يباين غيره وصفات الله لا تباينه ، ويراد به ما لم يكن اياه ، وصفة الله ليست اياه، ففي احد الاصطلاحين يقال انه غيره وفي الاصطلاح الآخر لا يقال انه غير. فلهذا لا يطلق احدهما الا مقرونا ببيان المراد لئلا يقول المبتدع إذا كانت صفة الله غيره فكل ما كان غير الله فهو مخلوق ، فيتوسل بذلك إلى ان يجعل علم الله وقدرته و كلامه ليس هو صفة قائمة به بل مخلوقة في غيره ، فان هذا فيه من تعطيل صفات الخالق وجحد كماله ما هو من أعظم الالحاد، وهو قول الجهمية الذين كفرهم السلف والائمة تكفيرا مطلقا. وان كان الواحد المعين لا يكفر الا بعد قيام الحجة التي يكفر تاركها

وأيضا فيقال لهؤلاء الملاحدة: ان لم يكن في الوجود غير بوجه من الوجود لزم أن يكون كلام الخلق واكلهم وشربهم ونكاحهم وزناهم وكفرهم وشركهم وكل ما يفعلونه من القبائح هو نفس وجود الله ومعلوم أن من جعل هذا صفة لله كان من أعظم الناس كفراً وضلالا. فمن قال انه عين وجود الله كان اكفر وأضل، فان الصفات والاعراض لا تكون عين الموجود القائم بنفسه. وائمة هؤلاء الملاحدة كابن عربي يقول :

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

فيجعلون كلام المخلوقين من الكفر والكذب وغير ذلك كلاما لله. وأما هذا الملحد فزاد على هؤلاء فجعل كلام الخلق وعبادتهم نفس وجوده ، يجعل ذلك كلاماً له بل نفي أن يكون هذا كلاما له لئلا يثبت غيراً له

وقد علم بالكتاب والسنة والاجماع وبالعلوم العقلية الضرورية إثبات غير الله تعالى، وان كل ماسواه من المخلوقات فانه غير الله تعالى، ليس هو الله ولا صفة من صفات الله . ولهذا أنكر الله على من عبد غيره ، ولو لم يكن هناك غير لما صح الانكار قال تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض) وقال تعالى (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض) وقال تعالى (أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا)

Marfat.com

وكذلك قول القائل: وجدت المحبة غير المقصود، لانها لاتكون إلا من غير لغير، وغير مائم، ووجدت التوحيد غير المقصود، لان التوحيد مايكون إلا من عبد لرب، ولو انصف الناس مارأوا عابداً ولا معبوداً — هو كلام فيه من الكفر والالحاد والتناقض مالا يخفى، فان الكتاب والسنة واجماع المسلمين اثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له كقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقوله (يحبهم ويحبونه) وقوله (احب اليكم من الله ورسوله) وقوله (إن الله يحب المتقين * يحب المحسنين * يحب التوابين ويحب المتطهرين * يحب المقسطين) وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لايحبه إلا لله، ومن كان يكره ان يرجع في الكفر بعد إذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار »

وقد اجمع سلف الامة وائمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له ، وهذا اصل دين الخليل امام الحنفاء عليه السلام

واول من اظهر ذلك في الاسلام الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم الاضحى بواسط وقال : ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه

وقوله: المحبة ماتكون إلا من غير لغير، وغير مائم ـ كلام باطل من كل وجه فان قوله لايكون إلا من غير، ليس بصحيح، فان الانسان يحب نفسه وليس غيراً لنفسه، والله يحب نفسه ، وقوله مائم غير ـ باطل، فان المخلوق غير الخالق والمؤمنون غير الله وهم يحبونه، فالدعوى باطلة ، فكل واحدة من مقدمتي الحجة باطلة ـ قوله لاتكون إلا من غير لغير ، وقوله غير مائم ـ فان الغير موجود، والمحبة تكون من المحب لنفسه ولهذا كثير من الاتحادية يناقضه في هذا القول ويقول كما قال ابن الفارض

وكذلك قوله: التوحيد لايكون إلا من عبد لرب ولو أنصف الناس مارأوا عابداً ولا معبوداً ـ كلا المقدمتين باطل، فان التوحيد يكون من الله لنفسه فانه يوحد نفسه بنفسه كما قال تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو) والقرآن مملوء من توحيد الله لنفسه

Marfat.com

قد وحد نفسه بنفسه كقوله (وإلهكم إله واحد) وقوله (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد) وقوله (فاعلم انه لا إله إلا الله) وأمثال ذلك. وأما المقدمة الثانية فقوله إن الناس لو أنصفوا ما رأوا عابداً ولا معبودا — مع انه غاية في الكفر والالحاد كلام متناقض فانه اذا لم يكن ثم عابد ولا معبود بل الكل واحد فمن هم الذين لا ينصفون؟ ان كانوا هم الله؟ فيكون الله هو الذي لا ينصف؟ وهو الذي يأكل ويشرب ويكفر، كما يقول ذلك كثير منهم مثل ما قال بعضهم لشيخه: الفقير إذا صح أكل بالله، فقال له الآخر: الفقير اذا صح أكل الله. وقد صرح ابن عربي وغيره من شيوخهم بانه هو الذي يجوع ويعطش ويمرض ويبول وينكح وينكح، وأنه موصوف بكل نقص وعيب، لان ذلك هو الكمال عندهم. كما قال في النصوص: فالعلي بنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستقصي به جميع الامور الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا، وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة (وقال) ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص والذم؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق. فهي كلها من أولها الى آخرها صفات العبد كما أن صفات العبد من أولها الى آخرها صفات الله تعالى

وهذا المتكلم بمثل هذا الكلام يتناقض فيه فانه يقال له: فاذا كان الكمال في نفسك الذي لا ترى عابداً ولا معبوداً فما لك توجب مذهبك تتضرب وتوجع وتهان وتصنع، واذا تظلم ممن فعل به ذلك واشتكى وصاح منه وبكى قيل له: ما ثم غير، ولا عابد ولا معبود. فلم يفعل بك هذا غيرك بل الضارب هو المضروب والشاتم هو المشتوم، والعابد هو المعبود. فان قال: تظلم من نفسه واشتكى من نفسه قيل له أيضا: فقل عبد نفسه، فاذا أثبت ظالما ومظلوما وهما واحد قيل له: فأثبت عابداً معبوداً وهما واحد.

ثم يقال له: هذا الذي يضحك ويضرب هو نفس الذي يبكي ويصيح: هذا الذي شبع وروي هو نفس هذا الذي جاع وعطش، فان اعترف بانه غيره أثبت المغايرة. واذا أثبت المغايرة بين هذا وهذا، فبين العابد والمعبود والى

Marfat.com

واحرى . وان قال : بل هو هو عومل معاملة السوفسطائية ، فان هذا القول أقبح السفسطة . فيقال فاذا كان هو هو فنحن نضربك ونقتلك والشيء قد نفسه وأهلك نفسه .

والانسان قد يظلم نفسه بالذنوب فيقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) لكون نفسه أمرته بالسوء ، والنفس امارة بالسوء ، لكن جهة أمرها ليست جهة فعلها ، بل لا من نوع تعدد اما في الذات واما في الصفات ، وكل أحد يعلم بالحس والاضطر ان هذا الرجل الذي ظلم ذاك ليس هو اياه وليس هو بمنزلة الرجل الذي ظلم نفسه واذا كان هذا في المخلوقين فالخالق أعظم مباينة للمخلوقين من هذا لهذا . سبحا وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ولولا أن اصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا ، وهم عند كث من الناس سادات الانام ، ومشايخ الاسلام ، وأهل التوحيد والتحقيق ، وأفض أهل الطريق ، حتى فضلوهم على الانبياء والمرسلين ، وأكابر مشايخ الدين لكن بنا حاجة الى بيان فساد هذه الاقوال وايضاح هذا الضلال . ولكن تعلم الضلال لاحد له ، وان العقول اذا فسدت ، لم يبق لضلالها حد معقول ، فسبحان فرق بين نوع الانسان فجعل منه من هو أفضل العالمين ، وجعل منه من هو من الشياطين ، ولكن تشبيه هؤلاء بالانبياء والاولياء ، كتشبيه مسيلمة الكذا بسيد اولى الالباب هو الذى يوجب جهاد هؤلاء الملحدين الذين يفسدون الدنيا والد

والمقصود هنا رد هذه الاقوال ، وبيان الهدى من الضلال ،

وأما توبة من قالها وموته على الاسلام . فهذا يرجع الى الملك العلام ، فان الله يق التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . ومن الممكنات انه قد تاب على أصحاب ه المقالات . والله تعالى غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ، والذنب ، ان عظم ، والشك وان غلظ وجسم ، فان التوبة تمحو ذلك كله ، والله سبحانه لا يتعاظمه ذنب يغفره لمن تاب ، بل يغفر الشرك وغيره للتائبين ، كما قال تعالي (قل ياعبادي الذ أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه الغفور الرحيم) وهذه الآية عامة مطلقة لانها للتائبين . وأما قوله (ان الله لا

Marfat.com

يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فانها مقيدة خاصة لانها في حق غير تبين. لايغفر لهم الشرك ومادون الشرك معلق بمشيئة الله تعالى

***

وأما الحكاية المذكورة عن الذى قال انه التقم العالم كله ، وأراد أن يقول :أنا ى وأختها التي قيل فيها:ان الالهية لايدعيها إلا أجهل خلق الله وأعرف خلق ـ هو من هذا الباب .

والفقير الذى قال : ماخلق الله أقل عقلا ممن ادعى انه إله مثل فرعون رود وأمثالها ـ هو الذي أصاب ونطق بالصواب ، وسدد في الخطاب. لكن هؤلاء الملاحدة يعظمون فرعون وامثاله ويدعون انهم خير من موسى ثاله،حتى انه حدثني بهاء الدين عبد السيد الذي كان قاضي اليهود وأسلم سن اسلامه رحمه الله وكان قد اجتمع بالشيرازي أحد شيوخ هؤلاء ودعاه الى القول،وزينه له فحدثني بذلك،فبينت له ضلال هؤلاء وكفرهم،وان قولهم جنس قول فرعون.فقال لى :انه لما دعاه حسن الشيرازي الى هذا القول قال له : كم هذا يشبه قول فرعون ، فقال: نعم ،ونحن على قول فرعون . وكان عبد السيد ذلك لم يسلم بعد ،فقال: أنا لا أدع موسى وأذهب الى فرعون . قال له ولم ؟ قال ، موسى أغرق فرعون . فانقطع. فاحتج عليه بالنصر القدري الذى نصر الله به ى لا بكونه كان رسولا صادقا . قلت لعبد السيد: وأقر لك انه على قول فرعون ؟ نعم .قلت فمع إقرار الخصم لايحتاج الى بينة. أنا كنت أريد أن أبين لك أن قولهم قول فرعون فاذا كان قد أقر بهذا فقد حصل المقصود

فهذه المقالات وأمثالها من اعظم الباطل. وقد نبهنا على بعض مابه يعرف معناها وأنه ل،والواجب إنكارها.فان إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من كار دين اليهود والنصارى الذى لا يضل به المسلمون لاسيما واقوال هؤلاء شر من ل اليهود والنصارى وفرعون ومن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر بجهادهم بقوله تعالى (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) والنفاق إذا عظم ن صاحبه شرا من الكفار وأهل الكتاب ، وكان في الدرك الاسفل من النار

Marfat.com

وليس لهذه المقالات وجه سائغ، ولو قدر أن بعضها يحتمل في اللغة معنى صحيحا فانما يحمل عليها اذا لم يعرف مقصود صاحبها، وهؤلاء قد عرف مقصودهم كما عرف دين اليهود والنصارى والرافضة، ولهم في ذلك كتب مصنفة، وأتباع مؤلفة، وكلام يفسر بعضه بعضا. وقد علم مقصودهم بالضرورة، فلا ينازع في ذلك إلا جاهل لا يلتفت اليه. ويجب بيان معناها وكشف مغزاها لمن أحسن الظن بها وخيف عليه أن يحسن الظن بها وأن يضل، فان ضررها على المسلمين أعظم من ضرر السموم التي يأكلونها ولا يعرفون انها سموم، وأعظم من ضرر السراق والخونة الذين لا يعرفون انهم سراق وخونة: فان هؤلاء غاية ضررهم موت الانسان أو ذهاب ماله، وهذه مصيبة في دنياه قد تكون سبباً لرحمته في الآخرة، وأما هؤلاء فيسقون الناس شراب الكفر والالحاد في آيات الله وأنبيائه، ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله وهم في الباطن من المحاربين لله ورسوله، ويظهرون كلام الكفار والمنافقين، في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين، فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمنا وليا لله، فيصير منافقا عدوا لله ولقد ضربت لهم مرة مثلا بقوم أخذوا طائفة من الحاج ليحجوا بهم فذهبوا بهم الى قبرص لينصروهم، فقال لي بعض من كان قد انكشف له ضلالهم من اتباعهم، لو كانوا يذهبون بنا الى قبرص لكانوا يجعلوننا نصاري، وهؤلاء كانوا يجعلوننا شراً من النصارى، والامر كما قاله هذا القائل

وقد رأيت وسمعت عمن ظن هؤلاء من أولياء الله وأن كلامهم كلام العارفين المحققين من هو من أهل الخير والدين مالا أحصيهم، فمنهم من دخل في الحادهم وفهمه وصار منهم، ومنهم من كان يؤمن بما لا يعلم: ويعظم مالا يفهم ويصدق بالمجهولات، وهؤلاء هم أصلح الطوائف الضالين، وهم بمنزلة من يعظم اعداء الله ورسوله ولا يعلم انهم أعداء الله ورسوله، ويوالي المشركين واهل الكتاب، ظانا أنهم من اهل الايمان وأولي الالباب، وقد دخل بسبب هؤلاء الجهال المعظمين لهم من الشر على المسلمين، مالا يحصيه إلا رب العالمين

وهذا الجواب، لم يتسع لاكثر من هذا الخطاب، والله أعلم بالصواب

Marfat.com

حقيقة مذهب الاتحاديين

أو

وحدة الوجود

﴿ وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية ﴾

من تحقيقات

شيخ الإسلام ابن تيمية

قدس الله سره

Marfat.com

﴿ رسالة شيخ الاسلام الى من سأله عن حقيقة مذهب الاتحاديين أى القائلين بوحدة الوجود ﴾

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * وأشهد أن لا إله إلا الله الاحد الحق المبين، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ﷺ تسليما كثيراً وعلى سائر اخوانه المرسلين

(أما بعد) فقد وصل كتابك تلتمس فيه بيان حقيقة مذهب هؤلاء الاتحادية وبيان بطلانه، وانك كنت قد سمعت مني بعض البيان لفساد قولهم، وضاق الوقت بك عن استتمام بقية البيان، وأعجلك السفر، حتى رأيت عندكم بعض من ينصر قولهم ممن ينتسب الى الطريقة والحقيقة، وصادف مني كتابك موقعا، ووجد محلا قابلا، وقد كتبت اليك بما ارجو من الله أن ينفع به المؤمنين، ويدفع به بأس هؤلاء الملاحدة المنافقين، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته المخلوقات والمنزلات في كتابه المبين، ويبين الفرق بين ماعليه أهل التحقيق واليقين، من اهل العلم والمعرفة المهتدين، وبين ماعليه هؤلاء الزنادقة المتشبهين بالعارفين، كما تشبه بالانبياء من تشبه من المتنبئين، وكما شبهوا بكلام الله ما شبهوه به من الشعر المفتعل وأحاديث المفترين، لتبين ان هؤلاء من جنس الكفار المنافقين المرتدين، اتباع فرعون والقرامطة الباطنيين، وأصحاب مسيلمة والعنسي ونحوهما من المفترين، وان اهل العلم والايمان من الصديقين والشهداء والصالحين، سواء كانوا من المقربين السابقين، او من المقتصدين اصحاب اليمين، هم من اتباع ابراهيم الخليل وموسى الكليم، ومحمد المبعوث الى الناس اجمعين. وقد فرق الله في كتابه المبين الذي جعله حاكما

Marfat.com

بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والمؤمنين والكافرين ، وقال تعالى (ام حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ؟)وقال (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ؟) وقال (افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ؟)

وقد بين حال من تشبه بالانبياء وباهل العلم والايمان من اهل الكذب والفجور الملبوس عليهم اللابسين. وأخبر ان لهم تنزلا ووحيا ولكن من الشياطين ، فقال تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون) وقال تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك اثيم) وأخبر ان كل من ارتد عن دين الله فلا بد ان يأتي الله بدله بمن يقيم دينه المبين ، فقال (يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)

وذلك ان مذهب هؤلاء الملاحدة فيما يقولونه من الكلام وينظمونه من الشعر بين حديث مفترى وشعر مفتعل . واليهما اشار ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما قال له عمر بن الخطاب في بعض مايخاطبه به: ياخليفة رسول الله تألف الناس . فأخذ بلحيته وقال : يابن الخطاب ، أجباراً في الجاهلية خواراً في الاسلام؟ علام أتألفهم؟ أعلى حديث مفترى ؟ ام شعر مفتعل ؟ يقول: لست أدعوهم إلى حديث مفترى كقرآن مسيلمة ، ولا شعر مفتعل كشعر طليحة الاسدي .

وهذان النوعان هما اللذان يعارض بهما القرآن اهل الفجور والافك المبين . قال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون انه لقول رسول كريم) الى آخر الآية . وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين) الآيات إلى

Marfat.com

قوله (وما تنزلت به الشياطين) الى آخر السورة . فذكر في هذه السورة علامة الكهان الكاذبين، والشعراء الغاوين، ونزهه عن هذين الصنفين كما في سورة الحاقة. وقال تعالى (انه لقول رسول كريم *ذي قوة عند ذي العرش مكين) الى آخر السورة فالرسول هنا جبريل . وفي الآية الاولى محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا نزه محمداً هناك ان يكون شاعراً او كاهنا ونزه هنا الرسول اليه ان يكون من الشياطين

فصل

اعلم ـ هداك الله وأرشدك ـ ان تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده ولا يحتاج مع حسن التصور الى دليل آخر ، وانما وقع الشبهة لان أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الالفاظ المجملة والمشتركة ، بل وهم أيضا لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه ، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم ، وانما يتخيلون شيئاً ويقولونه او يتبعونه ، ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق ، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم، مع استشعارهم انهم مفترقون، ولهذا لما بينت لطوائف من اتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم ، وسر مذهبهم ، صاروا يعظمون ذلك ، ولولا ما اقرنه بذلك من الذم والرد لجعلوني من أئمتهم ، وبذلوا لي من طاعة نفوسهم وأموالهم ما يجل عن الوصف ، كما تبذله النصارى لرؤسائهم ، والاسماعيلية لكبرائهم ، وكما بذل آل فرعون لفرعون ،

وكل من يقبل قول هؤلاء فهو أحد رجلين اما جاهل بحقيقة امرهم ، وإما ظالم يريد علواً في الارض وفساداً ، او جامع بين الوصفين وهذه حال اتباع فرعون الذين قال الله فيهم (فاستخف قومه فأطاعوه) وحال القرامطة مع رؤسائهم ، وحال الكفار والمنافقين في أئمتهم الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون (إن الله لعن الكافرين وأعدلهم سعيرا) الى آخر الآية وقوله (ولعنهم لعنا كبيرا) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ـ إلى قوله ـ وما هم بخارجين من النار)

Marfat.com

فصل

اعلم ان حقيقة قول هؤلاء ان وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه ألبتة، ولهذا من سماهم حلولية أو قال هم قائلون بالحلول رأوه محجوبا عن معرفة قولهم خارجا عن الدخول الى باطن امرهم، لأن من قال ان الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحال، وهذا تثنية عندهم واثبات لموجودين (احدهما) وجود الحق الحال (والثاني) وجود المخلوق المحل وهم لايقرون باثبات وجودين ألبتة. ولا ريب ان هـذا القول اقل كفراً من قولهم، وهو قول كثير من الجهمية الذين كان السلف يردون قولهم، وهم الذين يزعمون ان الله بذاته في كل مكان. وقد ذكر جماعات من الائمة والسلف عن الجهمية وكفروهم به، بل جعلهم خلق من الائمة ـ كابن المبارك ويوسف بن اسباط وطائفة من اهل العلم والحديث من اصحاب احمد وغيره ـ خارجين بذلك عن الثنتين والسبعين فرقة. وهو قول بعض متكلمة الجهميـة وكثير من متعبديهم. ولا ريب ان إلحاد هؤلاء المتأخرين وتجهمهم وزندقتهم تفريع وتكميل لالحاد هذه الجهميـة الاولى وتجهمها وزندقتها

وأما وجه تسميتهم اتحادية ففيه طريقان (احدهما) لايرضونه لان لاتحاد على وزن الاقتران والاقتران يقتضي شيئين اتحد احدهما بالآخر وهم لايقرون بوجودين أبدا (والطريق الثاني) صحة ذلك بناء على ان الكثرة صارت وحدة كما سأبينه من اضطرابهم

وهذه الطريقه إما على مذهب ابن عربي فانه يجعل الوجود غير الثبوت ويقول ان وجود الحق قائم على ثبوت الممكنات. فيصح الاتحاد بين الوجود والثبوت. واما على قول من لايفرق فيقول ان الكثرة الخيالية صارت وحدة بعد الكشف او الكثرة العينية صارت وحدة اطلاقية

Marfat.com

فصل

ولما كان أصلهم الذي بنوا عليه ان وجود المخلوقات والمصنوعات حتى وجود الجن والشياطين والكافرين والفاسقين والكلاب والخنازير والنجاسات والكفر والفسوق والعصيان عين وجود الرب، لا انه متميز عنه منفصل عن ذاته، وان كان مخلوقا له مربوبا مصنوعا له قائما به، وهم يشهدون ان في الكائنات تفرقا وكثرة ظاهرة بالحس والعقل، فاحتاجوا الي جمع يزيل الكثرة، ووحدة ترفع التفرق مع ثبوتها، فاضطربوا على ثلاث مقالات، انا ابينها لك وان كانوا هم لا يبين بعضهم مقالة نفسا ومقالة غيره لعدم كمال شهود الحق وتصوره

المقالة الاولى

﴿ مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكم ﴾

وهي مع كونها كفرا فهو اقربهم الى الاسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيرا، ولانه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره، بل هو كثير الاضطراب فيه، وانما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل اخرى. والله اعلم بما مات عليه. فان مقالته مبنية على اصلين

الاصل الاول لمذهب ابن عربي

(احدهما) ان المعدوم شيء ثابت في العدم، موافقة لمن قال ذلك من المعتزلة والرافضة. واول من ابتدع هذه المقالة في الاسلام ابو عثمان الشحام شيخ ابي علي الجبائي وتبعه عليها طوائف من القدرية المبتدعة من المعتزلة والرافضة، وهؤلاء يقولون ان كل معدوم يمكن وجوده فان حقيقته وماهيته وعينه ثابتة في العدم، لانه لولا

Marfat.com

ثبوتها لما تميز المعلوم المخبر عنه من غير المعلوم المخبر عنه، ولما صح قصد ما يراد ايجاده، لان القصد يستدعي التميز، والتميز لا يكون الا في شيء ثابت، لكن هؤلاء وان ابتدعوا هذه المقالة التي هي باطلة في نفسها وقد كفرهم بها طوائف من متكلمة السنة. فهم يعترفون بان الله خالق وجودها، ولا يقولون ان عين وجودها عين وجود الحق. واما صاحب الفصوص واتباعه فيقولون: عين وجودها عين وجود الحق. فهي متميزة بذواتها ثابتة في العدم متحدة بوجود الحق العالم بها. وعامة كلامه ينبني على هذا لمن تدبره وفهمه

وهؤلاء القائلون بان المعدوم شيء ثابت في العدم سواء قالوا بان وجودها خلق الله او هو الله، يقولون إن الماهيات والاعيان غير مجعولة ولا مخلوقة وان وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته، وقد يقولون الوجود صفة للموجود

وهذا القول وإن كان فيه شبه لقول القائلين بقدم العالم او القائلين بقدم مادة العالم وهيولاه المتميزة عن صورته فليس هو اياه، وان كان بينهما قدر مشترك. فان هذه الصورة المحدثة من الحيوان والنبات والمعادن ليست قديمة باتفاق جميع العقلاء، بل هي كائنة بعد ان لم تكن، وكذلك الصفات والاعراض القائمة باجسام السموات والاستحالات القائمة بالعناصر من حركات الكواكب والشمس والقمر والسحاب والمطر والرعد والبرق وغير ذلك. كل هذا حدث غير قديم، عند كل ذي حس سليم، فانه يرى ذلك بعينه. والذين يقولون بان عين المعدوم ثابتة في القدم، وبان مادته قديمة يقولون بان أعيان جميع هذه الاشياء ثابتة في القدم. ويقولون ان مجرد جميع العالم قديمة دون صوره

واعلم أن المذهب إذا كان باطلا في نفسه لم يمكن المتقدم ان يتقله على وجه يتصور تصورا حقيقيا فان هذا لا يكون الا للحق. فما القول الباطل واذا تبين فبيانه يظهر فساده، حتى يقال كيف اشتبه هذا على أحد ويتعجب من اعتقادهم

Marfat.com

إياه، ولا ينبغي للانسان ان يعجب، فما من شيء يتخيل من انواع الباطل الا وقد ذهب اليه فريق من الناس. ولهذا وصف الله أهل الباطل بانهم أموات وأنهم (صم بكم عمي) وانهم (لا يفقهون* ولا يعقلون) وانهم (في قول مختلف يؤفك عنه من أفك) وانهم (في ريبهم يترددون) وانهم (يعمهون)

وانما نشأ ـ والله أعلم ـ لاشتباه على هؤلاء من حيث رأوا أن الله سبحانه يعلم ما لم يكن قبل كونه ـ أو (إنما امره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) فرأوا ان المعدوم الذي يخلقه يتميز في علمه وإرادته وقدرته، فظنوا ذلك لتميز ذات له ثابتة وليس الامر كذلك. وانما هو متميز في علم الله وكتابه، والواحد منا يعلم الموجود والمعدوم الممكن والمعدوم المستحيل، ويعلم ما كان كآدم والانبياء، ويعلم مايكون كالقيامة والحساب، ويعلم مالم يكن لو كان كيف كان يكون، كما يعلم ما أخبر الله به عن أهل النار (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وانهم (لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) وانه (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وانه (لو كان فيهما آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) وانهم (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) وانه (لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ابدا) ونحو ذلك من الجمل الشرطية التي يعلم فيها انتفاء الشرط أو ثبوته.

فهذه الامور التي نعلمها نحن ونتصورها، اما نافين لها أو مثبتين لها في الخارج أو مترددين ـ ليس بمجرد تصورنا يكون لاعيانها ثبوت في الخارج عن علمنا وأذهاننا، كما نتصور جبل ياقوت وبحر زئبق وانسانا من ذهب وفرساً من حجر. فثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج، بل العالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلا. وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه كما في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال «ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة»

Marfat.com

وفي سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال «أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب قال : رب وما اكتب ؟ قال ، اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة» وقال ابن عباس «ان الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ، ثم قال لعلمه «كن كتابا» فكان كتابا ؟ ثم انزل تصديق ذلك في كتابه فقال (الم تعلم ان الله يعلم مافي السماء والارض، ان ذلك في كتاب) »

وهذا هو معنى الحديث الذي رواه احمد في مسنده عن ميسرة الفجر قال: قلت يارسول الله متى كنت نبيا ، وفي رواية متى كتبت نبيا؟ ـ قال« وآدم بين الروح والجسد » هكذا لفظ الحديث الصحيح . وما يرويه هؤلاء الجهال [1] كابن عربي في الفصوص وغيره عن جهال العامة « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» «كنت نبيا وآدم لا ماء ولا طين» فهذا لا اصل له ولم يروه احد من أهل العلم الصادقين ، ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ بل هو باطل، فان آدم لم يكن بين الماء والطين قط فان الله خلقه من تراب، وخلط التراب بالماء حتى صار طينا ويبس الطين حتى صار صلصالا كالفخار، فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والتراب، ولو قيل بين الماء والتراب لكان أبعد عن المحال ، مع ان هذه الحال لا اختصاص لها، وانما قال « بين الروح والجسد، وقال «وان آدم لمنجدل في طينته » لان آدم بقي أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه كما قال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر) الآية وقال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال) الآيتين. وقال تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين)الآيتين وقال تعالى (إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين) الآية . والاحاديث في خلق آدم ونفخ الروح فيه مشهورة في كتب الحديث والتفسير وغيرهما

(١) أي الجهال بعلم الرواية والاسانيد ونقد الحديث

Marfat.com

فاخبر ﷺ انه كان نبيا أي كتب نبيا وآدم بين الروح والجسد . وهذا والله أعلم لان هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذي يكون بايدي ملائكة الخلق فيقدر لهم ويظهر لهم ويكتب مايكون من المخلوق قبل نفخ الروح فيه، كما أخرج الشيخان في الصحيحين وفي سائر الكتب الامهات حديث الصادق المصدوق وهو من الاحاديث المستفيضه التي تلقاها أهل العلم بالقبول وأجمعوا على تصديقها وهو حديث الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن امه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فيؤمر باربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أوسعيد، ثم ينفخ فيه الروح ـ وقال ـ فوالذي نفسي بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » فلما أخبر الصادق المصدوق ان الملك يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح، وآدم هو أبو البشر كان أيضاً من المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه مايكون منه، ومحمد ﷺ سيد ولد آدم فهو أعظم الذرية قدراً وأرفعهم ذكرا، فأخبر ﷺ انه كتب نبيا حينئذ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته فانه كون في التقدير الكتابي، ليس كونا في الوجود العيني، إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين من عمره ﷺ كما قال تعالى (وكذلك أوحينا لك روحا من أمرنا) الآية . وقال (ألم يجدك يتيما فآوى) الآية . وقال (نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية . ولذلك جاء هذا المعنى مفسراً في حديث العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ انه قال «اني عبدالله

Marfat.com

مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول أمري: دعوة أبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام » هذا لفظ الحديث من رواية ابن وهب

حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض رواه البغوي في شرح السنة هكذا، ورواه الليث بن سعد عنه نحوه، ورواه الإمام أحمد في المسند عن بن مهدي: حدثنا معاوية بن صالح بالاسناد عن العرباض قال قال رسول الله ﷺ « اني عبد الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي ابراهيم » الحديث. وفيه « كذلك أمهات النبيين يرين » وقوله « لمنجدل في طينته » أي ملتف ومطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح بعد

وقد روي ان الله كتب اسمه على العرش وعلى ما في الجنة من الابواب والقباب والاوراق، وروي في ذلك عدة آثار توافق هذه الاحاديث الثابتة التي تبين التنويه باسمه واعلاء ذكره حينئذ

وقد تقدم لفظ الحديث الذي في المسند عن ميسرة الفجر لما قيل له متى كنت نبيا؟ قال « وآدم بين الروح والجسد » وقد رواه أبو الحسن بن بشران من طريق الشيخ أبي الفرج بن الجوزي في (الوفاء بفضائل المصطفى ﷺ) : حدثنا ابو جعفر محمد بن عمرو حدثنا احمد بن اسحق بن صالح ثنا محمد بن صالح ثنا محمد بن سنان العوفي ثنا ابراهيم بن طهمان عن يزيد بن ميسرة عن عبد الله ابن سفيان عن ميسرة قال قلت: يارسول الله. متى كنت نبيا؟ قال « لما خلق الله الارض واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء

Marfat.com

فكتب اسمي على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد
فلما أحياه الله تعالى نظر الى العرش فرأى اسمي فأخبره الله انه سيد ولدك ، فلا
غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه »

وروى ابو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة: ومن طريق الشيخ أبي الفر
حدثنا سليمان بن احمد ثنا احمد بن رشدين ثنا احمد بن سعيد الفهري ثنا عبدالله
ابن اسماعيل المدني عن عبد الرحمن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب
قال : قال رسول الله ﷺ « لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال يارب بحق
محمد إلا غفرت لي، فأوحى اليه وما محمد؟ ومن محمد ؟ فقال يارب إنك لما أتممت
خلقي رفعت رأسي الى عرشك فاذا عليه مكتوب : لاإله إلا الله محمد رسول الله
فعلمت انه أكرم خلقك عليك، إذ قرنت اسمه مع اسمك . فقال: نعم، قد غفرت
لك وهو آخر الانبياء من ذريتك ولولاه ما خلقتك » فهذا الحديث يؤيد الذي
قبله وهما كالتفسير للاحاديث الصحيحة (١)

وفي الصحيحين عن عائشة قالت « أول مابدىء به رسول الله ﷺ من
الوحي الرؤيا الصادقة، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه
الخلاء ، فكان يأتي غار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل
أن ينزع الى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق
وهو بحراء، فأتاه الملك فقال له: اقرأ . قل لست بقاريء . قال فأخذني فغطني
حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال : اقرأ . فقلت: لست بقاريء قل فأخذني

---

(١) يشير بقوله كالتفسير للاحاديث الصحيحه الى عدم صحتها وكونها ليست
بمعنى الاحاديث الصحيحة السابقة وانما يوافقانها من وجه واحد وهو كتابة المقادير
قبل خلق ما جرت فيه من الخلق وغرضه منها تقوية الشواهد على علم الله بالاشياء
وكتابته اياها قبل خلقها ، وان ثبوتها في العلم غير ثبوتها في الوجود

Marfat.com

فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرساني فقال: اقرأ. فقلت لست بقاريء، ثم أخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرساني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق) فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره » الحديث بطوله، فقد اخبر في هذا الحديث الصحيح انه لم يكن قارئا، وهذه السورة أول ما أنزل الله عليه وبها صار نبيا، ثم انزل عليه سورة المدثر، وبها صار رسولا لقوله (قم فأنذر) ولهذا ذكر سبحانه في هذه السورة الوجود العيني والوجود العلمي. وهذا أمر بين يعقله الانسان بقلبه لايحتاج فيه الى سمع، فان الشيء لايكون قبل كونه. وأما كون الاشياء معلومة لله قبل كونها فهذا حق لا ريب فيه. وكذلك كونها مكتوبة عنده أو عند ملائكته، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وجاءت به الآثار

وهذا العلم والكتاب هو القدر الذي ينكره غاية القدرية ويزعمون ان الله لايعلم افعال العباد إلا بعد وجودها وهم كفار، كفرهم الائمة كالشافعي واحمد وغيرهما

وقد بين الكتاب والسنة هذا القدر وأجاب النبي ﷺ عن السؤال الوارد عليه، وهو ترك العمل لاجله، فأجاب ﷺ عن ذلك، ففي الصحيحين عن علي بن ابي طالب قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة[1] فجعل ينكت بمخصرته ثم قال « ما منكم من أحد ـ أوقال ـ مانفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة » قال فقال رجل: يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل اهل الشقاوة ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر: أما أهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل

(١) المكنسة: مايتوكأ عليه كالعصا ونحوه وما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب والخطيب اذا خطب

Marfat.com

الشقاوة — ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى) الى آخر الآيات » وفي رواية : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به الارض فرفع رأسه فقال «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار » قالوا يا رسول الله فلِمَ نعمل ؟ أفلا نتكل ؟ قال « لا. اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له — ثم قرأ (فأما من أعطى) الآية »

وفي الصحيحين أيضاً عن عمران بن حصين قال :قيل يارسول الله، أعُلم أهل الجنة من اهل النار ؟قال« نعم » قال فقيل: ففيم يعمل العاملون ؟فقال« كل ميسرٌ لما خُلق له» وفي رواية: ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يارسول الله ،أرأيت مايعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدَر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال « لا. بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم ،وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) »

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يارسول الله ، بيّن لنا ديننا كأنا خُلقنا الآن ، فيم العمل اليوم ؟ أفيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما يستقبل ؟قال« لا. بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير » قال :ففيم العمل ؟.قال «اعملوا فكل ميسر »

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول « كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة — قال : وعرشه على الماء »

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت انه قال لابنه : يابني، انك لن تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أول ما خلق الله القلم فقال له:

Marfat.com

اكتب، قل: رب، ما أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من مات على غير هذا فليس مني » ورواه الترمذي من وجه آخر عن الوليد بن عبادة انه قال: دعاني - يعني اباه - عند الموت فقال: يابني اتق الله، واعلم انك إن تتق الله تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله، خيره وشره، وان مت على غير هذا دخلت النار، اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان اول ماخلق الله القلم فقال اكتب، قال ما أكتب؟ قال اكتب القدر، ما كان وما هو كائن الى الابد »

وفي الترمذي أيضا عن ابي خزامة عن أبيه ان رجلا أتى النبي ﷺ فقال أرأيت رُقًى نسترقيها ودواء نتداوى به وتُقاة نتقيها، هل ترد من قضاء الله تعالى شيئا؟ قال «هي من قدر الله»

لكن انما ثبتت في التقدير المعدوم الممكن الذي سيكون، فأما المعدوم الممكن الذي لا يكون فمثل إدخال المؤمنين النار وإقامة القيامة قبل وقتها، وقلب الجبال ياقيت ونحو ذلك. فهذا المعدوم ممكن وهو شيء ثابت في العدم عند من يقول المعدوم شيء، ومع هذا فليس بمقدر كونه، والله يعلمه على ما هو عليه، يعلم انه ممكن وانه لا يكون، وكذلك الممتنعات مثل شريك الباري وولده، فان الله يعلم انه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد. ويعلم انه ليس له شريك في الملك ولا ولي من الذل، ويعلم انه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، ويعلم انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض. وهذه المعدومات الممتنعة ليست شيئاً باتفاق العقلاء مع ثبوتها في العلم. فظهر انه قد ثبت في العلم ما لا يوجد وما يمتنع ان يوجد، فالعلم واسع، فاذا توسع المتوسع وقال المعدوم شيء في العلم او موجود في العلم او ثابت في العلم فهذا صحيح، أما انه في نفسه شيء فهذا باطل، وبهذا تزول الشبهة الحاصلة في هذه المسئلة

Marfat.com

والذي عليه اهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الاصناف: ان المعدوم ليس في نفسه شيئا وان ثبوته ووجوده وحصوله شيء واحد ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع القديم ،قال الله تعالى لزكريا (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) فأخبر انه لم يك شيئا . وقال تعالى (أَوَلا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا)وقال تعالى (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) فأنكر عليهم اعتقاد ان يكونوا خلقوا من غير شيء خلقهم ام خلقوا هم انفسهم، ولهذا قال جبير بن مطعم :لما سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة احست بفؤادي قد انصدع . ولو كان المعدوم شيئا لم يتم الانكار، إذا جاز ان يقال ما خلقوا إلا من شيء، لكن هو معدوم فيكون الخالق لهم شيئا معدوماً . وقال تعالى(فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) ولو كان المعدوم شيئاً لكان التقدير : لا يظلمون موجوداً ولا معدوما، والمعدوم لا يتصور ان يظلموه فانه ليس لهم

وأما قوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) فهو إخبار عن الزلزلة الواقعة انها شيء عظيم ليس إخباراً عن الزلزلة في هذه الحال ولهذا قال (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت)ولو أريد به الساعة لكان المراد بها شيء عظيم في العلم والتقدير

وقوله تعالي (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)قد استدل به من قال المعدوم شيء وهو حجة عليه، لانه اخبر انه يريد الشيء وانه يكونه. وعندهم أنه ثابت في العدم وانما يراد وجوده لاعينه ونفسه . والقرآن قد اخبر ان نفسه تراد وتكوّن وهذا من فروع هذه المسئلة .

فان الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء أن الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده، وانه ليس وجود الشيء قدراً زائدا على ماهيته ، بل ليس في الخارج الا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته، وليس وجوده وثبوته في الخارج زائدا على ذلك .

Marfat.com

وأولئك يقولون الوجود قدر زائد على الماهية ويقولون الماهيات غير مجعولة، ويقولون وجود كل شيء زائد على ماهيته، ومن المتفلسفة من يفرق بين الوجود والواجب والممكن فيقول : الوجود الواجب عين الماهية . وأما الوجود الممكن فهو زائد على الماهية. وشبهة هؤلاء ماتقدم من أن الانسان قد يعلم ماهية الشيء ولا يعلم وجوده، وأن الوجود مشترك بين الموجودات وماهية كل شيء مختصة به .

ومن تدبر تبين له حقيقة الامر فانا قد قدمنا الفرق بين الوجود العلمي والعيني. وهذا الفرق ثابت في الوجود والعين والثبوت والماهية وغير ذلك . فثبوت هذه الامور في العلم والكتاب والكلام ليس هو ثبوتها في الخارج عن ذلك(١) وهو ثبوت حقيقتها وماهيتها التي هي هي ، والانسان إذا تصور ماهية فقد علم وجودها الذهني، ولا يلزم من ذلك الوجود الحقيقي الخارجي. فقول القائل: قد تصورت حقيقة الشيء وعينه ونفسه وماهيته وماعلمت وجوده حصل وجوده العلمي ، وما حصل وجوده العيني الحقيقي ولم يعلم ماهيته الحقيقية ولا عينه الحقيقية ولا نفسه الحقيقية الخارجية فلا فرق بين لفظ وجوده ولفظ ماهيته الا أن أحد اللفظين قد يعبر به عن الذهني والآخر عن الخارجي فجاء الفرق من جهة المحل لا من جهة الماهية والوجود

واما قولهم : إن الوجود مشترك والحقيقة لا اشتراك فيها، فالقول فيه كذلك فان الوجود المعين الموجود في الخارج لا اشتراك فيه، كما ان الحقيقة المعينة الموجودة في الخارج لا اشتراك فيها . وانما العلم يدرك الوجود المشترك كما يدرك الماهية المشتركة، فالمشترك ثبوته في الذهن لا في الخارج ، وما في الخارج ليس فيه اشتراك البتة ، والذهن ان ادرك الماهية المعينة الموجودة في الخارج لم يكن فيها اشتراك وانما الاشتراك فيما يدركه من الامور المطلقة العامة وليس في الخارج شيء مطلق عام بوصف بالاطلاق والعموم ؟ وانما فيه المطلق لا بشرط الاطلاق وذلك لا يوجد

(١) أي الخارج عن الامور الثلاثة المذكورة

Marfat.com

في الخارج الا معينا، فينبغي للعاقل ان يفرق بين ثبوت الشيء ، وجوده في نفسه، وبين ثبوته ووجوده في العلم، فان ذاك هو الوجود العيني الخارجي الحقيقي ، وأما هذا فيقال له الوجود الذهني والعلمي. وما من شيء الا له هذان الثبوتان والعلم يعبر عنه باللفظ ويكتب اللفظ بالخط فيصير لكل شيء اربعة مراتب: وجود في الاعيان، ووجود في الاذهان ، ووجود في اللسان ، ووجود في البنان ، وجود عيني ، وعلمي ، ولفظي ، ورسمي

ولهذا كان أول ما أنزل الله على نبيه سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ذكر فيها النوعين فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق*خلق الانسان من علق) فذكر جميع المخلوقات بوجودها العيني عموما ثم خصوصا، فخص الانسان بالخلق بعد ما عم غيره، ثم قال (اقرأ وربك الاكرم*الذي علم بالقلم*علم الانسان مالم يعلم) فخص التعليم للانسان بعد تعميم التعليم بالقلم، وذكر القلم لان التعليم بالقلم هو الخط وهو مستلزم لتعليم اللفظ، فان الخط يطابقه، وتعليم اللفظ هو البيان وهو مستلزم لتعليم العلم، لان العبارة تطابق المعنى، فصار تعليمه بالقلم مستلزما للمراتب الثلاث: اللفظي، والعلمي، والرسمي، بخلاف مالو اطلق التعليم او ذكر تعليم العلم فقط لم يكن ذلك مستوعبا للمراتب ،

فذكر في هذه السورة الوجود العيني والعلمي وان الله سبحانه هو معطيهما فهو خالق الخلق وخالق الانسان ، وهو المعلم بالقلم ومعلم الانسان

فاما اثبات وجود الشيء في الخارج قبل وجوده فهذا أمر معلوم الفساد بالعقل والسمع وهو مخالف للكتاب والسنة والاجماع .

7642

Marfat.com

فصل

الاصل الثانى لمذهب ابن عربى

هذا أحد أصلي ابن عربي . واما الاصل الآخر فقولهم ان وجود الاعيان نفس وجود الحق وعينه . وهذا انفردوا به عن جميع مثبتة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين، وانما هو حقيقة قول فرعون واقرامطة المنكرين لوجود الصانع كما سنبينه ان شاء الله

فمن فهم هذا فهم جميع كلام ابن عربي نظمه ونثره (١) وما يدعيه من ان الحق يغتذي بالخلق، لان وجود الاعيان معتمد بالأعيان الثابتة في العدم، ولهذا يقول بالجمع من حيث الوجود، وبالفرق من حيث الماهية والاعيان، ويزعم ان هذا هو سر القدر، لان الماهيات لا تقبل الا ما هو ثابت لها في العدم في انفسها، فهي التي احسنت واساءت، وحمدت وذمت، والحق لم يعطها شيئا الا ما كانت عليه في حال العدم

فتدبر كلامه كيف انتظم شيئين: انكار وجود الحق، وانكار خلقه لمخلوقاته، فهو منكر للرب الذي خلق فلا يقر برب ولا بمخلوق، ومنكر لرب العالمين، فلا رب ولا عالمون مربوبون، اذ ليس الا اعيان ثابتة ووجود قائم بها، فلا الاعيان مربوبة ولا الوجود مربوب، ولا الاعيان مخلوقة ولا الوجود مخلوق . وهذا يفرق بين الظاهر والظاهر والمجلي والمتجلي، لان المظاهر عنده هي الاعيان الثابتة في العدم، واما الظاهر فهو وجود الخلق

---

(١) هذا بمعنى قول شيخنا ان الكلام ابن عربي مفتاحا من عرفه فهم جميع كلامه فانا أقرأ الفتوحات كما أقرأ تاريخ ابن الأثير . وقال أيضاً: انما أتهم هؤلاء الصوفية مذهبهم بالاصطلاحات التي تشبه الالغاز تقية وهربا من تكفير الجمهور لهم

Marfat.com

فصل

واما صاحبه الصدر الفخر الرومي فانه لايقول ان الوجود زائد على الماهية،فانه كان ادخل في النظر والكلام من شيخه، لكنه اكفر واقل علما وايمانا، واقل معرفة بالاسلام وكلام المشائخ .ولما كان مذهبهم كفرا كان كل من حذق فيه كان اكفر،فلما رأى ان التفريق بين وجود الاشياء واعيانها لايستقيم وعنده ان الله هو الوجود ولابد من فرق بين هذا وهذا ،فرق بين المطلق والمعين،فعنده ان الله هو الوجود المطلق الذي لايتعين ولا يتميز ،وانه اذا تعين وتميز فهو الحق سواء تعين في مرتبة الالهية او غيرهـا . وهذا القول قد صرح فيه بالكفر أكثر من الاول ، وهو حقيقة مذهب فرعون والقرامطة، وإن كان الاول أفسد من جهة تفرقته بين وجود الاشياء وثبوتها ، وذلك انه على القول الاول يمكن أن يجعل للحق وجودا خارجا عن اعيان الممكنات ،وأنه فاض عليها فيكون فيه اعتراف بوجود الرب القائم بنفسه الغني عن خلقه ، وان كان فيه كفر من جهة انه جعل المخلوق هو الخالق ، والمربوب هو الرب،بل لم يثبت خلقا أصلا ومع هذا فمارأيته صرح بوجود الرب متميزا عن الوجود القائم بأعيان الممكنات

وأما هذا فقد صرح بانه مالم سوى الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة . والمطلق ليس له وجود مطلق،فما في الخارج جسم مطلق بشرط الاطلاق، ولا انسان مطلق ولا حيوان مطلق بشرط الاطلاق،بل لايوجد إلافي شيء معين والحقائق لها ثلاث اعتبارات : اعتبار العموم،والخصوص،والاطلاق، فاذا قلنا: حيوان عام اوانسان عام، أو جسم عام، ووجود عام،فهذا لايكون إلا في العلم واللسان، وأما الخارج عن ذلك فما ثم شيء موجود في الخارج يعم شيئين ، ولهـذا كان العموم من عوارض صفات الحي فيقال : علم عام ، وارادة عامة ، وغضب عام ، وخبر عام، وأمر عام، ويوصف صاحب الصفة بالعموم أيضا كما في الحديث الذي

Marfat.com

في سنن ابي داود ان النبي ﷺ مر بعلي وهو يدعوفقال « ياعلي عُمّ، فان فضل العموم على الخصوص كفضل السماء على الارض » وفي الحديث انه لما نزل قوله (وأنذر عشيرتك الاقربين) عم وخص . رواه مسلم من حديث . وسى بن طلحة عن ابي هريرة ، و توصف الصفة بالعموم كما في حديث التشهد « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فاذا قلتم ذلك فقد أصابت كل عبد صالح لله في السماء والارض »

وأما اطلاق من أطلق ان العموم من عوارض الالفاظ فقط ، فليس كذلك إذ معاني الالفاظ القائمة بالقلب أحق بالعموم من الالفاظ . وسائر الصفات: الارادة والحب والبغض والغضب والرضا يعرض لها من العموم والخصوص ما يعرض للقول ، وانما المعاني الخارجة عن الذهن هي الموجودة في الخارج، كقولهم : مطر عام وخصب عام . هذه التي تنازع الناس: هل وصفها بالعموم حقيقة او مجاز ؟ على قولين (أحدهما) مجاز لان كل جزء من أجزاء المطر والخصب لا يقع الا حيث يقع الآخر فليس هناك عموم ، وقيل بل حقيقة لان المطر المطلق قدعم.

وأما الخصوص فيعرض لها إذا كانت موجودة في الخارج ، فان كل شيء له ذات وعين تختص به ويمتاز بها عن غيره ، أعني الحقيقة العينية الشخصية التي لا اشتراك فيها، مثل : هذا الرجل وهذه الحبة وهذا الدرهم ، وما عرض لها في الخارج فانه يعرض لما في الذهن . فان تصور الذهنية أوسع من الحقائق الخارجية فانها تشمل الموجود والمعدوم والممتنع والمقدرات

وأما الاطلاق فيعرض لها إذا كانت في الذهن بلا ريب فان العقل يتصور انسانا مطلقا ووجوداً مطلقا . واما في الخارج فهل يتصور شيء مطلق ؟ هذا فيه قولان، قيل: المطلق له وجود في الخارج فانه جزء من المعين ، وقيل لا وجود له في الخارج ، اذ ليس في الخارج إلا معين مقيد ، والمطلق الذي يشترك فيه العدد لا يكون جزءا من المعين الذي لا يشركه فيه

Marfat.com

والتحقيق ان المطلق يلا شرط أصلا يدخل فيه المقيد المعين، وأما المطلق بشرط الاطلاق فلا يدخل فيه المعين المقيد. وهذا كما يقول الفقهاء : الماء المطلق، فانه بشرط الاطلاق فلا يدخل فيه المضاف. فاذا قلنا : الماء ينقسم الى ثلاثة أقسام : طهور، وطاهر ونجس ، فالثلاثة أقسام الماء . الطهور هو الماء المطلق الذي لا يدخل ما ليس بطهور. كالعصارات والمياه النجسة . فالماء المقسوم هو المطلق لا بشرط، والماء الذي هو قسيم الماءين هو المطلق بشرط الاطلاق .

لكن هذا الاطلاق والتقييد الذي قاله الفقهاء في اسم الماء انما هو في الاطلاق والتقييد اللفظي وهو ما دخل في اللفظ المطلق كلفظ ماء ، او في اللفظ المقيد كلفظ ماء نجس ، او ماء ورد .

وأما ما كان كلامنا فيه أولا فانه الاطلاق والتقييد في معاني اللفظ ، ففرق بين النوعين. فان الناس يغلطون لعدم التفريق بين هذين غلطا كثيراً جداً ، وذلك ان كل اسم فاما أن يكون مسماه معينا لا يقبل الشركة كأنا وهذا وزيد ، ويقال له المعين والجزء ، واما أن يقبل الشركة فهذا الذي يقبل الشركة هو المعنى الكلي. المطلق وله ثلاث اعتبارات كما تقدم

وأما اللفظ المطلق والمقيد فمثال تحرير رقبة ، ولم تجدوا ماء ، وذلك ان المعنى قد يدخل في مطلق اللفظ ، ولا يدخل في اللفظ المطلق ، اي يدخل في اللفظ لا بشرط الاطلاق ، ولا يدخل في اللفظ بشرط الاطلاق، كما قلنا في لفظ الماء ، وان الماء يقال على المني وغيره كما قال (من ماء دافق) ويقال : ماء الورد ، لكن هذا لا يدخل في الماء عند الاطلاق لكن عند التقييد . فاذا أخذ القدر المشترك بين لفظ الماء المطاق ولفظ الماء المقيد فهو المطلق بلا شرط الاطلاق ، فيقال : الماء ينقسم الى مطلق ومضاف ، ومورد التقسيم ليس له اسم مطلق لكنه بالقرينة يقتضي الشمول والعموم ، وهو قولنا الماء ثلاثة أقسام . فهنا أيضا

Marfat.com

أيضاً ثلاثة أشياء : مورد التقسيم وهو الماء العام وهو المطلق بلا شرط ، لكن ليس له لفظ مفرد إلا لفظ مؤلف ، والقسم المطلق وهو اللفظ بشرط اطلاقه ، والثاني المقيد وهو اللفظ بشرط تقييده

وانما كان كذلك لان المتكلم باللفظ إما أن يطلقه أو يقيده، ليس له حال ثالثة ، فاذا أطلقه كان له مفهوم واذا قيده كان له مفهوم ، ثم اذا قيده إما أن يقيده بقيد العموم أو بقيد الخصوص . فقيد العموم كقوله : الماء ثلاثة أقسام ، وقيد الخصوص كقوله :ماء الورد

واذا عرف الفرق بين تقييد اللفظ واطلاقه وبين تقييد المعنى واطلاقه عرف ان المعنى له ثلاثة أحوال : إما أن يكون أيضاً مطلقاً ومقيداً بقيد العموم أو مقيداً بقيد الخصوص ، والمطلق من المعاني نوعان : مطلق بشرط الاطلاق ، ومطلق لا بشرط ، وكذلك الالفاظ المطلق منها قد يكون مطلقا بشرط الاطلاق كقولنا الماء المطلق والرقبة المطلقة ، وقد يكون مطلقا لا بشرط الاطلاق كقولنا انسان ،

فالمطلق المقيد بالاطلاق لايدخل فيه المقيد بما ينافي الاطلاق ، فلا يدخل ماء الورد في الماء المطلق . وأما المطلق لا بقيد فيدخل فيه المقيد كما يدخل الانسان الناقص في اسم الانسان

فقد تبين ان المطلق بشرط الاطلاق من المعاني ليس له وجود في الخارج ، فليس في الخارج انسان مطلق ، بل لابد أن يتعين بهذا أو ذاك وليس فيه حيوان مطلق ، وليس فيه مطر مطلق بشرط الاطلاق .

وأما المطلق بشرط الاطلاق من الالفاظ كالماء المطلق فله وجود في الخارج لان شرط الاطلاق هنا في اللفظ فلا يمنع أن يكون معناه معينا . وبشرط الاطلاق هناك في المعنى ، والمسمى المطلق بشرط الاطلاق لايتصور إذ الكل موجود حقيقة يتميز بها ، وما لا حقيقة له يتميز بها ليس بشيء ، واذا كان له

Marfat.com

حقيقة يتميز بها فتميزه يمنع أن يكون مطلقا من كل وجه ، فان المطلق من كل وجه لا تميز له ، فليس الموجود هو مطلق بشرط الاطلاق ولكن العدم المحض قد يقال هو مطلق بشرط الاطلاق إذ ليس هناك حقيقة تتميز ولا ذات تتحقق حتي يقال تلك الحقيقة تمنع غيرها بحدها أن تكون إياها ؛ وأما المطلق من المعاني لا بشرط فهذا اذ قيل بوجوده في الخارج فانما يوجد معينا متميزاً مخصوصاً ، والمعين المخصوص يدخل في المطلق لا بشرط ولا يدخل في المطلق بشرط الاطلاق، إذ المطلق لا بشرط أعم، ولا يلزم اذا كان المطلق بلاشرط موجوداً في الخارج أن يكون المطلق المشروط بالاطلاق موجوداً في الخارج لان هذا أخص منه ، فاذا قلنا: حيوان، أو انسان، أو جسم، أو وجود مطلق، فان عنينا به المطلق بشرط الاطلاق فلا وجود له في الخارج ، وإن عنينا المطلق لا بشرط فلا يوجد إلا معينا مخصوصا، فليس في الخارج شيء إلا معين متميز منفصل عما سواه بحده وحقيقته.

فمن قال: ان وجود الحق هو الوجود المطلق دون المعين فحقيقة قوله انه ليس للحق وجود أصلا ولا ثبوت إلا نفس الاشياء المعينة المتميزة ، والاشياء المعينة ليست إياه فليس شيئا أصلا .

وتلخيص النكتة انه لو عني به المطلق بشرط الاطلاق فلا وجود له في الخارج فلا يكون للحق وجود أصلا ، وإن عني به المطلق بلاشرط ، فان قيل بعدم وجوده في الخارج فلا كلام؛ وإن قيل بوجوده فلا وجد إلا معينا فلا يكون للحق وجود إلا وجود الاعيان. فيلزم محذوران (احدهما) انه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات (والثاني) التناقض وهو قوله انه الوجود المطلق دون المعين .

فتدبر قول هذا فانه يجعل الحق في الكائنات بمنزلة الكلي في جزئياته وبمنزلة الجنس والنوع والخاصة والفصل في سائر أعيانه الموجودة الثابتة في العدم . وصاحب هذا القول يجعل المظاهر والمراتب في المتعينات كما جعله الاول في الاعيان

Marfat.com

فصل

وأما التلمساني ونحوه فلا يفرق بين ماهية ووجود ولا بين مطلق ومعين، بل عنده ماثم سوى، ولا غير بوجه من الوجوه، وإنما الكائنات أجزاء منه وابعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر، وآخر البيت من البيت، فمن شعرهم :

البحر لاشك عندي في توحده   وإن تعدد بالامواج والزبد

فلا يغرنك ماشاهدت من صور   فالواحد الرب ساري العين في العدد

ومنه :

فما البحر إلا الموج لاشيء غيره   وإن فرقته كثرة المتعدد

ولا ريب ان هذا القول هو أحذق في الكفر والزندقة ، فان التمييز بين الوجود والماهية، وجعل المعدوم شيئا أو التمييز في الخارج بين المطلق والمعين وجعل المطلق شيئا وراء المعينات في الذهن قولان ضعيفان باطلان، وقد عرف من حدد النظر ان من جعل في هذه الامور الموجودة في الخارج شيئين (أحدهما) وجودها (والثاني) ذواتها، أو جعل لها حقيقة مطلقة موجودة زائدة على عينها الموجودة فقد غلط غلطا قويا، واشتبه عليه مايأخذه من العقل من المعاني المجردة المطلقة عن التعيين، ومن الماهيات المجردة عن الوجود الخارجي بما هو موجود في الخارج من ذلك، ولم يدر ان متصورات العقل ومقدراته أوسع مما هو موجود حاصل بذاته، كما يتصور المعدومات والممتنعات والمشروطات، ويقدر ما لا وجود له ألبتة مما يمكن أو لا يمكن، ويأخذ من المعينات صفات مطلقة فيه، فمن الموجودات ذوات متصورة فيه، لكن هذا القول أشد جهلا وكفراً بالله تعالى . فمن صاحبه لايفرق بين المظاهر والظاهر ، ولا يجعل الكثرة والتفرقة إلا في ذهن الانسان لما كان محجوبا عن شهود الحقيقة ، فلما انكشف غطاؤه عاين انه لم يكن غيره وان الرائي عين المرئي والشاهد عين المشهود

Marfat.com

فصل

واعلم ان هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه، ولكن رأيت في بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو انه حكى عن بعض الفلاسفة قوله : ان الوجود واحد وردذلك، وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين

وانما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار، وانما كان الكفر الحلول العام أو الاتحاد أو الحلول الخاص. وذلك ان القسمة رباعية لان من جعل الرب هو العبد حقيقة ، فاما أن يقول بحلوله فيه أو اتحاده به ، وعلى التقديرين فاما أن يجعل ذلك مختصاً ببعض الخلق كالمسيح أو يجعله عاما لجميع الخلق . فهذه أربعة أقسام :

(الاول) هو الحلول الخاص وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول: ان اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الاناء، وهؤلاء حققوا كفر النصارى بسبب مخالفتهم المسلمين ، وكان أولهم في زمن المأمون . وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الامة، كغالية الرافضة الذين يقولون انه حل بعلي بن أبي طالب وائمة أهل بيته ، وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الاولياء ومن يعتقدون فيه الولاية، أو في بعضهم كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء

(والثاني) هو الاتحاد الخاص وهو قول يعقوبية النصارى وهم أخبث قولا وهم السودان والقبط ، يقولون ان اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء. وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين الى الاسلام

(والثالث) هو الحلول العام، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون ان الله بذاته في كل مكان ويتمسكون بمتشابه القرآن كقوله (وهو الله في السموات وفي الارض) وقوله (وهو معكم) والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمة السنة واهل المعرفة وعلماء الحديث.

Marfat.com

(الرابع) الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون انه عين وجود الكائنات ،وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة ان أولئك قالوا ان الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين ، وهؤلاء يقولون ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره (والثاني) من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب والخنازير والقذر والاوساخ ، واذا كان الله تعالى قال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) الآية . فكيف بمن قال ان الله هو الكفار والمنافون والصبيان والمجانين والانجاس والانتان وكل شيء؟ واذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا (نحن أبناء الله وأحباؤه) وقال لهم (قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق) الآية . فكيف بمن يزعم ان اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه ؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه؟ وأن كل ناطق في الكون فهو عين السامع؟ كما في قوله ﷺ « ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت بها أنفسها » وان الناكح عين المنكوح ، حتى قال شاعرهم(١)

واعلم ان هؤلاء لما كان كفرهم في قولهم : ان الله هو مخلوقاته كلها أعظم من كفر النصارى بقولهم (ان الله هو المسيح بن مريم) فكان النصارى ضلال أكثرهم لا يعقلون مذهبهم في التوحيد إذ هو شيء متخيل لا يعلم ولا يعقل ، حيث يجعلون الرب جوهراً واحداً ثم يجعلونه ثلاثة جواهر، ويتأولون ذلك بتعدد الخواص والاشخاص التي هي الاقانيم، والخواص عندهم ليست جواهر . فيتناقضون مع كفرهم ، كذلك هؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلال أكثرهم لا يعقلون قول رءوسهم ولا يفقهونه ، وهم في ذلك كالنصارى، كلما كان الشيخ أحمق واجهل كان بالله أعرف، وعندهم أعظم، ولهم حظ من عبادة الرب الذي كفروا به كما للنصارى. هذا مادام أحدهم

(١) سقط من الاصل هذا الشعر وقد يعرف مما سبق من أشعارهم

Marfat.com

في الحجاب، فاذا ارتفع عن قلبه وعرف انه هو فهو بالخيار بين أن يسقط عن نفسه الامر والنهي ويبقى سدى يفعل ما أحب ، وبين أن يقوم بمرتبة الامر والنهي لحفظ المراتب، وليقتدي به الناس المحجوبون، وهم غالب الخلق . ويزعمون ان الانبياء كانوا كذلك اذ عدوهم كاملين .

فصل

مذهب هؤلاء الاتحادية كابن عربي وابن سبعين والقونوي والتلمساني مركب من ثلاثة مواد : سلب الجهمية وتعطيلهم، ومجملات الصوفية، وهو ما وجد في كلام بعضهم من الكلمات المجملة المتشابهة ، كما ضلت النصارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح فيتبعون المتشابه ويتركون المحكم، وأيضا كلمات المغلوبين على عقلهم الذين تكلموا في حال سكر ، ومن الزندقة الفلسفة التي هي أصل التجهم، وكلامهم في الوجود المطلق والعقول والنفوس والوحي والنبوة والوجوب والامكان ، وما في ذلك من حق وباطل . فهذه المادة أغلب على ابن سبعين والقونوي ، والثانية أغلب على ابن عربي ، ، ولهذا هو أقربهم إلى الاسلام ، والكل مشتركون في التجهم. والتلمساني أعظمهم تحقيقا لهذه الزندقة والالحاد التي انفردوا بها ، وأكفرهم بالله وكتبه ورسله وشرائعه واليوم الآخر

وبيان ذلك انه قال : هو في كان متجل بوحدته الذاتية ، عالما بنفسه وبما يصدر عنه ، وأن المعلومات باسرها كانت منكشفة في حقيقة العلم شاهدا لها .

فيقال له : قد اثبت علمه بما يصدر منه وبمعلومات يشهدها غير نفسه ، ثم ذكرت أنه عرض نفسه على هذه الحقائق الكونية المشهودة المعدومة ، فعند ذلك عبر «بأنا» وظهرت حقيقة النبوة التي ظهر فيها الحق واضحا ، وانعكس فيها الوجود المطلق، وانه هو المسمى باسم الرحمن كما أن الاول هو المسمى باسم الله ، وسقت الكلام

Marfat.com

لى ان قلت : وهو الان على ماعليه كان فهذا الذي علم انه يصدر عنه وكان مشهودا
معدوما في نفسه هو الحق او غيره ؟ فان كان الحق ؟ فقد لزم ان يكون الرب
كان معدوما وان يكون صادرا عن نفسه ، ثم انه تناقض . وان كان غيره ، فقد
جعلت ذلك الغير هو مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، وهو الرحمن ، فيكون
الخلق هو الرحمن ، فأنت حائر بين ان تجعله قد علم معدوما صدر عنه ، فيكون له
غير وليس هو الرحمن ، وبين ان تجعل هذا الظاهر الواصف هو اياه وهو الرحمن ،
فلا يكون معدوما ولا صادرا عنه ، واما ان تصف الشيء بخصائص الحق الخالق
باره وبخصائص العبد المخلوق تارة ، فهذا مع تناقضه كفر من غلظ الكفر . وهو
نظير قول النصارى اللاهوت الناسوت . لكن هذا اكفر من وجوه متعددة

فصل

(الوجه الاول) ان هذه الحقائق الكونية التي ذكرت انها كانت معدومة في
نفسها مشهودة اعيانها في علمه في تجليه المطلق الذي كان فيه متحدا بنفسه بوحدته
الذاتية ، هل خلقها وبرأها وجعلها موجودة بعد عدمها ام لم تزل معدومة ؟ فان
كانت لم تزل معدومة فيجب ان لا يكون شيء من الكونيات موجودا . وهذا مكابرة
للحس والعقل والشرع ، ولا يقوله عاقل ، ولم يقله عاقل . وان كانت صادرة موجودة
بعد عدمها امتنع ان تكون هي إياه ، لان الله لم يكن معدوما فيوجد . وهذا
يبطل الاتحاد ، ووجب حينئذ ان يكون (١) به موجودا ليس هو الله ، بل هو خلقه
ومماليكه وعبيده . وهذا يبطل قولك ! وهو الآن لا شيء معه (٢) على ما عليه كان

(الثاني) ان قولك تركبت الخلقة الالهية من كان الى سر شأنه وقولك ظهر

(١) كذا في الاصل ولعله : ان يكون ما صار به المعدوم موجوداً الخ
(٢) كذا في الاصل

Marfat.com

الحق فيه ، او نحو ذلك من الالفاظ التي يطلقها هؤلاء الاتحادية في هذا الموط
مثل قولهم: ظهر الحق، وتجلى، وهذه مظاهر الحق ومجاليه ، وهذا مظهر الهي ومج
الهي ، ونحو ذلك.ـ اتعني به أن عين ذاته حصلت هناك ؟ او تعني به انه ص
ظاهراً متجليا لها بحيث تعلمه ؟ او تعني به أن ظهر لخلقه بها وتجلى بها وأ
مانم قسم رابع ؟

فان عنيت الاول ـ وهو قول الاتحادية ـ فقد صرحت بان عين المخلوقات حتى
الكلاب والخنازير والنجاسات والشياطين والكفار هى ذات الله ، اوهى وذات
الله متحدتان ، أو ذات الله حالة فيها ، وهذا الكفر اعظم من كفر الذين قالو
(ان الله هو المسيح بن مريم * وإن الله هو ثالث ثلاثة) وان الله يلد ويولد. وان لله
بنين وبنات . واذا صرحت بهذا عرف المسلمون قولك فألحقوك ببني جنسك(١)
فلا حاجة الى الفاظ مجملة يحسبها الظمان ماء . وياليته إذا جاءها لم يجدها شيئا
بل يجدها سما ناقعا ،

وان عنيت أنه صار ظاهراً متجليا لها، فهذا حقيقة أمر صار معلوما لها. ولا ري
ان الله يصير معروفا لعبده . لكن كلامك في هذا باطل من وجهين : من جهة انك
جعلته معلوما للمعدومات التي لا وجود لها لكونه قد علمها ، واعتقدت انها إذا كانت
معلومة يجوز أن تصير عالمة، وهذا عين الباطل: من جهة أنه إذا علم أن الشيء سيكو
لم يجز أن يكون هذا قبل وجوده عالما قادراً فاعلا . ومن جهة ان هذا ليس حك
جميع الكائنات المعلومة ، بل بعضها هو الذي يصح منه العلم

وأما إن قلت ان الله يعلم بها لكونها آيات دالة عليه ، فهذا حق، وهو دين المسلمي

---

(١) بهذا صرح شيخ الاسلام ان غرضه من هذه الالزامات الباطلة بيا
خروجهم بها عن دائرة الاسلام الذي يلبسون بادعائهم اياه على المسلمين بانهم
أوليائه العارفين . وليس غرضه انه ألزمهم ما يلتزمونه ولا يعتقدونه

Marfat.com

شهود العارفين ، لكنك لم تقل هذا لوجهين (احدهما) انها لاتصير آيات، الا بعد أن يخلقها ويجعلها موجودة ،لافي حال كونها معدومة معلومة،وانت لم تثبت انه خلقها ولاجعلها موجودة،ولا أنه أعطى شيئا خلقه ، بل جعلت نفسه هوهي المتجلية له

(الوجه الثاني) انك قد صرحت بانه تجلى لها وظهر لها، لا انه دل بها خلقه وجعلها آيات تكون تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . والله قد اخبر في كتابه انه يجعل في هذه المصنوعات آيات،والآية مثل العلامة والدلالة كما قال (والهكم اله واحد لاإله إلا هو الرحمن الرحيم. الى قوله.لآيات لقوم يعقلون)وتارة يسميها نفسها آية كماقال تعالى (وآية لهم الأرض الميتة احييناها) وهذا الذي ذكره الله فى كتابه هو الحق.

فاذا قيل في نظير ذلك : تجلى بها وظهر بها كما يقال علم وعرف بها ، كان المعنى صحيحا لكن لفظ التجلي والظهور في مثل هذا الموضع غير مأثور . وفيه ايهام واجمال . فان الظهور والتجلي يفهم منه الظهور والتجلي للعين لاسيما لفظ المتجلي وان استعماله في التجلي للعين هو الغالب . وهذا مذهب الاتحادية ، صرح به ابن عربي وقال: فلا تقع العين الا عليه (١)

واذا كان عندهم أن المرئي بالعين هو الله فهذا كفر صريح باتفاق المسلمين . بل قد ثبت في صحيح مسلم ان النبي ﷺ قال « واعلموا ان أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ولاسيما اذا قيل : ظهر فيها وتجلى ، فان اللفظ يصير مشتركا بين ان تكون ذاته فيها أو تكون قد صارت بمنزلة المرآة التي يظهر فيها مثال المرئي ، وكلاهما باطل . فان ذات الله ليست في المخلوقات، ولا في نفس ذاته ترى المخلوقات كما يرى المرئي في المرآة، ولكن ظهورها دلالتها عليه وشهادتها له ، وانها آيات له على نفسه وصفاته سبحانه وبحمده، كما نطق بذلك كتاب الله

(١) بياض في الاصل

Marfat.com

(الوجه الثالث) ان مقارنة الالف والنون المعبر عنها «بأنا» واللفظة التي هي «حقيقة النبوة» و «الروح الاضافي» هذه الاشياء داخلة في مسمى اسمائه الظاهرة والمضمرة ام ليست داخلة في مسمى اسمائه؟ فان كان الاول فتكون جميع المخلوقات داخلة في مسمى اسماء الله، وتكون المخلوقات جزءاً من الله وصفة له، وان كان الثاني فهذه الاشياء معدومة ليس لها وجود في أنفسها ، فكيف يتصور أن تكون موجودة لا موجودة ، ثابتة لا ثابتة، منتفية لا منتفية ؟ وهذا القسم بين ، وهو أحد ما يكشف حقيقة هذا التلبيس

فان هذه الامور التي كانت معلومة له معدومة عند نزول الخلية ظهرت هذه الامور التي ذكرها ، فهذه الامور الظاهرة المعلومة بعد هذا النزول قد صارت « أنا » وحقيقة نبوة، وروحا إضافيا ، وفعل ذات، ومفعول ذات، ومعنى وسائط، فان كان جميع ذلك في الله ، ففيه كفران عظيمان : كون جميع المخلوقات جزءا من الله، وكونه متغيرا هذه التغيرات التي هي من نقص الى كمال ومن كمال الى نقص ، وان كانت خارجة من ذاته فهذه الاشياء كانت معدومة ، ولم يخلقها عندهم خارجة عنه فكيف يكون الحال ؟

(الوجه الرابع) ان عنده حقيقة النبوة وما معها إما أن يكون شيئا قائما بنفسه أو صفة له أو لغيره، فان كان قائما بنفسه فاما ان يكون هو الله أو غيره ، فان كان ذلك هو الله فيكون الله هو القدرة الظاهرة ، وهو حقيقة النبوة ، وهو الروح الاضافي وقد قال بعد هذا : انه جعل الروح الاضافي في صورة فعل ذاته ، وانه أعطى محمداً عقدة نبوته ، فيكون قد جعل نفسه صورة فعله واعطى محمداً ذاته ، وهذا مع انه من أبين الكفر وأقبحه فهو متناقض ، فمن المعطي ومن المعطى ؟ إذا كان أعطى ذاته لغيره ، وإن كانت هذه الاشياء أعيانا قائمة بنفسها وهي غير الله فسواء كانت ملائكة أو غيرها من كل ما سوى الله من الاعيان فهو خلق من خلق الله

Marfat.com

مصنوع مر بوب ، والله خالق كل شيء ، فهو قد جعل ظهور الحق وصفا ، وانه المسمى باسم الرحمن ، فيكون المسمى باسم الرحمن الواصف لنفسه مخلوقا ، وهذا كفر صريح وهو أعظم من إلحاد الذين (قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن؟) ومن إلحاد الذين قيل فيهم (وهم يكفرون بالرحمن) فان اولئك كفروا باسمه وصفته مع اقرارهم برب العالمين ، وهؤلاء أقروا بالاسم وجعلوا المسمى مخلوقا من مخلوقاته ،

واما ان كان المراد بهذه الحقيقة ومامعها صفة فاما أن تكون صفة لله أو لغيره ، فان كانت صفة لله لم يجز ان تكون هي المسمى باسم الرحمن ، فان ذلك اسم لنفس الله لا لصفاته ، والسجود لله لا لصفاته ، والدعاء لله لا لصفاته ، وان كانت صفة لغيره فهذا الالزام أعظم وأعظم

وهذا تقسيم لا محيص عنه ، فان هذا الملحد في اسماء الله جعل هذه العقدة التي سماها (عقدة حقيقة النبوة) وجعلها صورة علم الحق بنفسه ، وجعلها مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، محلا لتميز صفاته القديمة (١) وان الحق ظهر فيه بصورته وصفته واصفا يصف نفسه ويحيط به ، وهو المسمى باسم الرحمن ، ثم ذكر انه أعطى محمداً هذه العقدة ، ومعلوم أن المسمى باسم الرحمن هو المسمى باسم الله كما قال تعالى (ادعو الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) فيكون هو سبحانه هذه العقدة التي أعطاها لمحمد ، وان كانت صفة له أو غيره فتكون هي الرحمن ، فهذا الملحد دائر بين أن يكون الرحمن هو خلق من خلق الله أو صفة من صفاته ، وبين أن يكون الرحمن قد وهبه الله لمحمد ، وكل من القسمين من أسمج الكفر وأشنعه

(الوجه الخامس) أن قوله لهذه الحقيقه طرفان : طرف الى الحق الموجه اليها الذي ظهر فيه الوجود الاعلى واصفا ، وطرف الي ظهور العالم منه وهو

(١) قوله محلا لتميز صفاته القديمة هو المفعول الثانى لجعل

Marfat.com

المسمى بالروح الاضافي ، فذكر في هذا الكلام ظهور الوجود وظهور العالم ، وقد تقدم أن الحق كان ولم يكن معه شيء وهو متجلى بنفسه بوحدته الذاتية ، وأنه لما نزلت الخلية ظهرت عقدة حقيقةالنبوة ، فصارت مرآةلانعكاس الوجود فظهر الحق فيه بصورة وصفة واصفا

وقد ذكر في هذا الكلام الحق المواجه اليها والوجود الاعلى الذي ظهر ، فهذا الحق والطرف الذي لها الى الحق ، فقد ذكر هنا ثلاثة أشياء : الحق ، والوجود، والطرف ، وقد جعل فيما تقدم الحق هو الوجود المطلق الذي انعكس، وهو الحق الذي ظهر فيه واصفا،فتارة يجعل الحق هو الوجود المطلق،وتارةيجعل الوجودالمطلق قد ظهر في هذا الحق ، وهذا تناقض

ثم يقال له : هذان عندك عبارةعن الرب تعالى فقد جعلته ظاهراً وجعلته مظهرا،فان عنيت بالظهور الوجود فيكون الرب قد وجد مرة بعد مرة ، وهذا كفر شنيع ، فكيف يتصور تكرر وجوده ؟ وكيف يتصورأن يكون قد وجد في نفسه بعد أن لم يكن موجوا في نفسه؟ وإن عنيت الوضوح والتجلى،وليس(١) هناك مخلوق يظهر له ويتجلى إذ العالم بعد لم يخلق ، وأنت قلت ظهر الحق فيه واصفا، وسميته الرحمن ، ولم تجعل ظهوره معلوما ولامشهورا، فكيف يتصور ان يكون متجليا لنفسه بعد أن لم يكن متجليا ؟ فان هذا وصف له بانه لم يكن يعلم نفسه حتى علمها

وأيضا فقد قلت : انه كان متجليا لنفسه بوحدته ، فهذا كفر وتناقض

(الوجه السادس) أن هذا التحير والتناقض مثل تحير النصارى وتناقضهم في الاقانيم. فانهم يقولون : الآب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة ، وهي إله واحد . والمتدرع بناسوت المسيح هو الابن ، ويقولون : هي الوجود ، والعلم والحياة ، والقدرة ،

(١) لعله فليس

Marfat.com

فيقال لهم : إن كانت هذه صفات فليست آلهة ، ولا يتصور أن يكون المتدرع بالمسيح إلها إلا أن يكون هو الآب ، وان كانت جواهر وجب أن لا تكون إلها واحداً ، لان الجواهر الثلاثة لا تكون جوهراً واحداً . وقد يمثلون ذلك بقولنا زيد العالم القادر الحي ، فهو بكونه عالما ليس هو بكونه قادراً . فاذا قيل لهم هذا كله لا يمنع أن يكون ذاتا واحدة لها صفات متعددة وانهم لا يقولون ذلك (١)

وأيضا فالمتحد بالمسيح إذا كان إلهاً امتنع أن يكون صفة ، وانما يكون هو الموصوف . وأنتم لا تقولون بذاك ، فما هو الحق لا تقولونه وما تقولونه ليس بحق ، وقد قال تعالى (يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) فالنصارى حيارى متناقضون ، ان جعلوا الاقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح الها ، وان جعلوه جوهرا امتنع أن يكون الاله واحدا ، وهم يريدون أن يجعلوا المسيح الله ويجعلوه ابن الله ، ويجعلوا الآب والابن وروح القدس الهاً واحدا . ولهذا وصفهم الله في القرآن بالشرك تارة ، وجعلهم قسما غير المشركين تارة ، لانهم يقولون الامرين وان كانوا متناقضين

وهكذا حال هؤلاء فانهم يريدون أن يقولوا بالاتحاد وانه مباين غير ، ويريدون أن يثبتوا وجود العالم ، فجعلوا ثبوت العالم في علمه وهو شاهد له ، وجعلوه متجليا لذلك المشهود له ، فاذا تجلى فيه كان هو المتجلى لا غيره . وكانت تلك الاعيان المشهودة هي العالم

وهذا الرجل وابن عربي يشتركان في هذا ولكن يفترقان من وجه آخر . فان ابن عربي يقول : وجود الحق ظهر في الاعيان الثابتة في نفسها . فان شئت قلت هو الحق ، وان شئت قلت هو الخلق . وإن شئت قلت هو الحق والخلق ، وان شئت قلت لا حق من كل وجه ولا خلق من كل وجه . وإن شئت قلت

(١) سقط جواب اذا أو تركه للعلم به : وتقديره انقطعوا

Marfat.com

بالحيرة في ذلك . واما هذا فانه يقول : تجلى الاعيان المشهودة له ، فقد قالا في جميع الخلق مايشبه قول ملكية (١) النصارى في المسيح، حيث قالوا : بان اللاهوت والناسوت صارا جوهرا واحدا له اقنومان . وأما الملمساني فانه لا يثبت بعد ذلك بحال فهو مثل يعاقبة النصارى ، وهم أكفرهم ، والنصارى قالوا بذلك في شخص واحد ، وقالوا ان اللاهوت به يتدرع الناسوت بعد أن لم يكن متدرعا به . وهؤلاء قالوا انه في جميع العالم ، وانه لم يزل، فقالوا بعموم ذلك ولزومه ، والنصارى قالوا بخصوصه وحدوثه ، حتى قال قائلهم : النصارى انما كفروا لانهم خصوا ، وهذا المعنى قد ذكره ابن عربي في غير موضع من الفصوص، وذكر ان انكار الانبياء على عباد الاصنام إنما كان لاجل التخصيص ، وإلا فالعارف المكمل من عبده في كل مظهر وهو العابد والمعبود ، وان عباد الاصنام لو تركوا عبادتهم لتركوا من الحق بقدر ماتركوا منها، وان موسى انما أنكر على هارون لكون هارون نهاهم عن عبادة العجل لضيق هارون وعلم موسى بانهم ماعبدوا إلا الله ، وان هارون انما لم يسلط على العجل ليعبدوا الله في كل صورة ، وان أعظم مظهر عبد فيه هو الهوى فما عبد أعظم من الهوى . لكن ابن عربي يثبت أعيانا ثابتة في العدم

وهذا ابن حمويه إنما أثبتها مشهودة في العلم فقط ، وهذا القول هو الصحيح لكن لا يتم له معه ما لبه من الاتحاد ، ولهذا كان هو أبعدهم عن تحقيق الاتحاد والقرب إلى الاسلام ، وان كان أكثرهم تناقضا وهذيانا ، فكثرة الهذيان خير من كثرة الكفر . ومقتضى كلامه هذا انه جعل وجوده مشروطا بوجود العالم ، وان كان له وجود ما غير العالم ، كما ان نور العين مشروط بوجود الاجفان وان كان قائما بالحدقة ، فعلى هذا يكون الله مفتقراً إلى العالم محتاجا اليه كاحتياج نور العين إلى الجفنين . وقد قال الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير

(١) طائفة من النصارى كاليعاقبة والنسطورية وغيرها

Marfat.com

ونحن أغنياء) الى آخر الآية . فاذا كان هذا قوله فيمن وصفه بانه فقير إلى أموالهم ليعطيها الفقر ، فكيف قوله فيمن ذاته مفتقرة إلى مخلوقاته ، بحيث لولا مخلوقاته لانتشرت ذاته وتفرقت وعدمت ، كما ينتشر نور العين ويتفرق ويعدم إذا عدم الجفن ؟ وقد قال في كتابه (إن الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا) الآية . فمن يمسك السموات ؟ وقال في كتابه (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره) الآية . وقال (رفع السموات بغير عمد ترونها) وقال (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) لايؤده لايثقله ولا يكرثه ، وقد جاء في الحديث حديث أبي داود « ماالسموات والارض وما بينهما في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بارض فلاة ،والكرسي في العرش كتلك الحلقة في الفلاة » وقد قال في كتابه (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية . وقد ثبت في الصحاح من حديث أبي هريرة وابن عمر وابن مسعود « إن الله يمسك السموات والارض بيده » فمن يكون في قبضته السموات والارض ، وكرسيه قد وسع السموات والارض ، ولا يؤده حفظهما ، وبامره تقوم السماء والارض ، وهو الذي يمسكهما ان تزولا ، أيكون محتاجا اليهما مفتقراً اليهما ، اذا زالا تفرق وانتشر؟ واذا كان المسلمون يكفرون من يقول : ان السموات تقله او تظله لما في ذلك من احتياجه إلى مخلوقاته ، فمن قال : انه في استوائه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج المحمول إلى حامله فانه كافر ؟ لان الله غني عن العالمين ، حي قيوم ، هو الغني المطلق وما سواه فقير اليه ، مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الامة وأئمة السنة ، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، فكيف بمن يقول انه مفتقر الى السموات والارض ، وانه إذا ارتفعت السموات والارض تفرق وانتشر وعدم ؟ فان حاجته في الحمل إلى العرش أبعد من حاجة ذاته الى ماهو دون العرش

Marfat.com

ثم يقال لهؤلاء : إن كنتم تقولون بقدم العالم وانكار انفطار السموات والارض وانشقاقهما ، وان كنتم تقولون بحدوثهما فكيف كان قبل خلقهما ؟ هل كان منتشراً متفرقاً معدوما ، ثم لما خلقهما صار موجوداً مجتمعاً؟هل يقول هذا عاقل ؟ فأنتم دائرون بين نوعين من الكفر ،مع غاية الجهل والضلال ، فاختاروا أيهما شئتم : ان صور العالم لاتزال تفنى ويحدث في العالم بدلها مثل الحيوان والنبات والمعادن ، ومثل مايحدثه الله في الجو من السحاب والرعد والبرق والمطر وغير ذلك ، فكلما عدم شيء من ذلك انتقص من نور الحق ويتفرق ويعدم بقدر ماعدم من ذلك ،وكلما زاد شيء من ذلك زاد نوره واجتمع ووجد

وأما ان عني أن نور الله باق بعد زوال السموات والارض لكن لايظهر فيه شيء ، ـ فما الشيء الذي يظهر بعد عدم هذه الاشياء ؟ وأي تأثير للسموات والارض في حفظ نور الله ، وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى الاشعري عن النبي ﷺ انه قال « ان الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام ،يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ،وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور — أو النار — لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه » وقال عبد الله بن مسعود « ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه » فقد أخبر الصادق المصدوق ان الله لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من السموات والارض وغيرها،فمن يكون سبحات وجهه تحرق السموات والارض وانما حجابه هو الذي يمنع هذا الاحراق،أيكون نوره انما يحفظ بالسموات والارض ؟

(الوجه السابع) قوله فالعلويات جفنها الفوقاني، والسفليات جفنها التحتاني، والتفرقة البشرية في السفليات،أهداب الجفن الفوقاني ، والنفس الكلية سوادها، والروح الاعظم بياضها . يقال له: فاذا كان العالم هو هذه العين فالعين الاخرى أي

Marfat.com

شيء هي ؟ وبقية الاعضاء أين هي؟ هذا لانه قولك إن عنيت بالعين المتعين، وان عنيت الذات والنفس وهو ما تعين فيه ، فقد جعلت نفس السموات والارض والحيوان والملائكة أبعاضاً من الله وأجزاءا منـه ، وهذا قول هؤلاء الزنادقة والفرعونية الاتحادية الذين أتبعهم الله في الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

فيقال له :فعلى هذا لم يخلق الله شيئاً ولاهو رب العالمين ، لانه إما أن يخلق نفسه أوغيره، فخلقه لنفسه محال وهذا معلوم بالبديهة ان الشيء لا يخلق نفسه، ولهذ قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) يقول أخلقوا من غير خالق أم هم خلقوا أنفسهم ؟ ولهذا قال جبير بن مطعم لما سمعت النبي ﷺ يقرأ هذه الآية أحسست بفؤادي قد انصدع . فقد علموا أن الخالق لايكون هو المخلوق بالبديهة وخلقه لغيره ممتنع على أصلهم لان هذه الاشياء هي أجزاء منه ليست غيراً له

(الوجه الثامن) انه جعل البشر اهداب جفن حقيقة الله وهم دائما يزيدون وينقصون ويموتون ويحيون ،وفيهم الكافر والمؤمن والفاجر والبر، فتكون أهداب جفن حقيقة الله لاتزال مقرفة كاشرة فاسدة، ويكون المشركون واليهود والنصارى أجفان حقيقته، وقد لعن من جعلهم أبناءه على سبيل الاصطفاء فكيف بمن جعلهم من نفسه

(الوجه التاسع) انه متناقض من حيث جعل الروح بياضها والنفس الكلية سوادها والسموات الجفن الاعلى والارضون الجفن الاسفل . ومعلوم ان جفني عين الانسان محيطان بالسواد والبياض، والروح والنفس عنده هى فوق السموات والارض ليست بين السماء والارض، كما ان سواد العين وبياضها بين الجفنين . فهذا التمثيل مع انه من اقبح الكفر ففيه من الجهالة والتناقض ما ترى

(الوجه العاشر) ان النفس الكلية اسم تلقاه عن الصابئة الفلاسفة . وأما الروح فان مقصوده بها هو الذي يسمونه العقل وهو اول الصادرات . وسماه هو روحا، وهذا بناء على مذهب الصابئة، وليس هذا من دين الحنفاء ،وقد بينا فساد

Marfat.com

ذلك في غير هذا الموضع . لكن الصابئة الفلاسفة خير من هؤلاء فانهم يقرون بواجب الوجود الذي صدرت عنه العقول والنفوس والافلاك والارض لا يجعلونها إياه وهؤلاء يجعلونها اياه. فقولهم انما ينطبق على المعطلة مثل فرعون وحزبه الذي قال (ومارب العالمين) وقال (ماعلمت لكم من اله غيري) وقال (ياهامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب أسباب السموات) الآية، فان فرعون يقر بوجود هذا العالم ويقول ما فوقه رب ولا له خالق غيره . فهؤلاء إذا قالوا انه عين السموات والارض، فقد جحد واما جحده فرعون واقروا بما أقر به فرعون ، الا ان فرعون لم يسمه آلها ولم يقل هو الله . وهؤلاء قالوا هذا هو الله . فهم مقرون بالصانع لكن جعلوه هو الصنعة . فهم في الحقيقة معطلون، وفي اعتقادهم مقرون ، وفرعون بالعكس كان منكراً للصانع في الظاهر و كان في الباطن مقرا به . فهو أكفر منهم، وهم اضل منه واجهل . ولهذا يعظمونه جدا

(الوجه الحادي عشر) قول القائل بل هذا هو الحق الصريح المتبع، لا ما رى المنحرف عن مناهج الاسلام ودينه، المتحير في بيداء ضلالته وجهله. فيقال: من الذي قال هذا الحق من الاولين والآخرين؟ وهذا كتاب الله من اوله الى آخره الذي هو كلام الله ووحيه وتنزيله ليس فيه شيء من هذا ، ولا في حديث واحد عن النبي ﷺ ولا عن احد من أئمة الاسلام ومشايخه . الا عن هؤلاء المفترين على الله الذين هم في مشايخ الدين نظير جنكسخان في أمر الحرب ، فديانتهم تشبه دولته ، ولعل إقراره بالصانع خير من اقرارهم، لكن بعضهم قد يوجب الاسلام فيكون خيرا من التتار من هذا الوجه

وأما محققوهم وجمهورهم فيجوز عندهم التهود والتنصر والاسلام والاشراك ، لا يحرمون شيئا من ذلك ، بل المحقق عندهم لا يحرم عليه شيء ولا يجب عليه شيء، ومعلوم ان التتار الكفار خير من هؤلاء ، فان هؤلاء مرتدون عن الاسلام من

Marfat.com

أقبح أهل الردة ، والمرتد شر من الكافر الاصلي من وجوه كثيرة ، وإذا كان أبو بكر الصديق (١)

وأما ما حكاه عن الذي سماه الشيخ المحقق العالم الرباني الغوث السابع في الشمعة من انه قل : اعلم ان العالم بمجموعه حدقة عين الله التي لا تنام الخ الكلام عليه من وجوه

(احدها) أن تسمية قائل مثل هذا المقال محققا وعالما وربانيا عين الضلالة والغواية، بل هذا كلام لا تقوله لا اليهود ولا والنصارى ولا عباد الاوثان، فان كان الذي قاله مسلوب العقل كان حكمه حكم غيره في ان الله رفع عنه القلم، وان كان عاقلا فجرأة على الله الذي يقول (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا ادا * تكاد السموات يتفطرن منه) الى آخر الآيات وقال (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول ـ الى قوله ـ الظالمين) وقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم ـ الى قوله ـ واليه المصير) فاذا كان هذا قوله فيمن يقول انهم أبناؤه وأحباؤه، فكيف قوله فيمن يقول إنهم أهداب جفنه؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

(الوجه الثاني) أن هذا الشيخ الضال الذي قال هذا الكفر والضلال قد نقض آخر كلامه باوله ، فان لفظ العين مشترك بين الشيء وبين العضو المبصر وبين مسميات أخر، واذا قال بعين الشيء ، فهو من العين التي بمعنى النفس أي تميز بنفسه عن غيره ، فاذا قال إن العالم بمجموعه حدقة عين الله التي لا تنام فالعين هنا بمعنى البصر. ثم قال في آخر كلامه : ونعني بعين الله ما يتعين الله فيه . فهذا من العين

(١) بياض في الاصل قدر سطرين لعله ذكر فيه أمثاله المرتدين ومانعي الزكاة من العرب وكون هؤلاء شر منهم لانهم تركوا جميع شرائع الاسلام

Marfat.com

بمعنى النفس ، وهذه العين ليس لها حدقة ولا أجفان ، وانما هذا بمنزلة من قال نبعت العين وفاضت وشربنا منها واغتسلنا ، ووزنتها في الميزان فوجدتها عشرة مثاقيل وذهبها خالص ، وسبب هذا أنه كثيرا ما كان يتصرف في حروف بلا معان

(الوجه الثالث) انه تناقض من وجه آخر فانه إذا كان العالم هو حدقه العين فينبغي أن يكون قد بقى من الله بقية الاعضاء غير العين ، فاذا قل في آخر كلامه: والله هو نور العين، كان الله جزءا من العين أو صفة له ، فقد جعل في أول كلامه العالم جزءا من الله،وفي آخر كلامه جعل الله جزء من العالم،وكل من القولين كفر، بل هذا أعظم من كفر الذين ذكرهم الله بقوله (وجعلوا له من عباده جزءاً ان الانسان لكفور مبين *أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) فاذا كان الله كفر من جعل له من عباده جزءاً فكيف من جعل عباده تارة جزءا منه وتارة جعله هو جزءاً منهم؟ فلعن الله ارباب هذه المقالات وانتصر لنفسه ولكتابه ولرسوله ولعباده المؤمنين منهم

(الوجه الرابع) انه تناقض من جهة أخرى، فانه إذا قال العين :مايتعين الله فيه، والعالم كله حدقة عينه التي لاتنام، فقد جعله متعينا في جميع العالم ، فاذا قال بعدها وهو نور العين، بقيت سائر أجزاء العين من الاجفان والاهداب والسواد والبياض لم يتعين فيها، فقد جعله متعينا فيها غير متعين فيها

(الوجه الخامس) ان نور العين مفتقر الى العين محتاج اليها لقيامه بها ، فاذا كان الله في العالم كالنور في العين وجب أن يكون محتاجا إلى العالم

واعلم ان هذا القول يشبه قول الحلولية الذين يقولون هو في العالم كالماء في الصوفة وكالحياة في الجسم ونحو ذلك،ويقولون هو بذاته في كل مكان ، وهذا قول قدماء الجهمية الذين كفرهم أئمة الاسلام . وحكى عن الجهم انه كان يقول هو مثل هذا الهواء ، أو قال هو هذا الهواء

وقوله اولا : هو حدقة عين الله ، يشبه قول الاتحادية فان الاتحادية يقولون

Marfat.com

هو مثل الشمعة التي تتصور في صور مختلفة وهي واحدة، فهو عندهم الوجود، واختلاف احواله كاختلاف احوال الشمعة، ولهذا كان صاحب هذه المقالات متخبطا لا يستقر عند المسلمين الموحدين المخلصين، ولا هو عند هؤلاء الملاحدة الاتحادية من محققيهم العارفين. فان هؤلاء كلهم من جنس النصيرية والاسماعيلية، مقالات هؤلاء في الرب من جنس مقالات أولئك، وأولئك فيهم التمسك بالشريعة وفيهم التخلي عنها، وهؤلاء كذلك، لكن أولئك أحذق في الزندقة، وهم يعلمون انهم معطلون مثل فرعون، وهؤلاء جهال يحسبون انهم يحسنون صنعا

(الوجه السادس) قوله من العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله تعالى بحيث لا يظهر فيه شيء أصلا. وهذا كلام مجمل، ولا ريب ان قائل هذه المقالة من المذبذبين بين الكافرين والمؤمنين، لا هو من المؤمنين ولا من الاتحادية المحضة، لكنه قد لبس الحق بالباطل، وذلك ان الاتحادية يقولون ان عين السموات والارض لو زالت لعدم الله. واللفظ يصرح به بعضهم، واما غالبهم فيشيرون اليه إشارة وعوامهم لا يفهمون هذا من مذهب الباقين فان هؤلاء من جنس القرامطة والباطنية، وأولئك انما يصل الى البلاغ الاكبر الذي هو آخر المراتب خواصهم. ولهذا حدثني بعض أكابر هؤلاء الاتحادية عن صاحب هذه المقالة انه كان يقول ليس بين التوحيد والالحاد الا فرق لطيف. فقلت له: هذا من أبطل الباطل، بل ليس بين مذهبين من الفرق أعظم مما بين التوحيد والالحاد. وهذا قاله بناء على هذا الخلط واللبس الذي خلطه، مثل قوله ان العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شيء

فيقال له: إذا ارتفعت العلويات والسفليات فما تعني بانبساطه؟ أتعني تفرقه وعدمه كما يتفرق نور العين عند عدم الاجفان؟ أم تعني انه ينبسط شيء موجود؟

Marfat.com

وما الذي ينبسط حينئذ ؟ هو نفس الله أم صفة من صفاته ؟ وعلى أى شيء ينبسط ؟ وما الذي يظهر فيه أولا يظهر ؟

فان عنيت الاول وهو مقتضى اول كلامك، لانك قلت: وإنما قلنا ان العلويات والسفليات اجفان عين الله لانهما يحافظان على ظهور النور ، فلو قطعت اجفان عين الانسان لتفرق نور عينه وانتشر بحيث لا يرى شيئا أصلا، فكذلك العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شيء أصلا .

وقد قلت : ان الله هو نور العين والروح الاعظم بياضها والنفس الكلية سوادها. ومعلوم ان نور العين على ماذكرته بشرط وجوده هو الاجفان، فاذا ارتفع الشرط ارتفع المشروط، فيكون العالم عندك شرطا في وجود الله، فاذا ارتفع العالم ارتفعت حقيقة الله لانتفاء شرطه، وان أثبت له ذاتا غير العالم فهذا أحد قولي الاتحادية، فانهم تارة يجعلون وجود الحق هو عين وجود المخلوقات ليس غيرها. وعلى هذا فلا يتصور وجوده مع عدم المخلوقات، وهذا تعطيل محض للصانع، وهو قول القونوي والتلمساني ، وهو قول صاحب الفصوص في كثير من كلامه، وتارة يجعلونه وجودا قائما بنفسه، ثم يجعلون نفس ذلك الوجود هو أيضا وجود المخلوقات بمعني انه فاض عليها . وهذا أقل كفرا من الاول ، وان كان كلاهما من اغلظ الكفر وأقبحه.

وفي كلام صاحب الفصوص وغيره في بعض المواضع ما يوافق هذا القول. وكذلك كلام هذا فانه قد يشير الى هذا المعنى

ثم مع ذلك هل يجعلون وجوده مشروطا بوجود العالم فيكون محتاجا الى العالم اولا يجعلون ؟ قد يقولون هذا وقد يقولون هذا

(السابع) انهم يمدحون الضلال والحيرة والظلم والخطا والعذاب الذي عذب الله به الامم، ويقلبون كلام الله وكلام رسوله قلبا يعلم فساده بضرورات العقول، مثل قول صاحب الفصوص: لو ان نوحا ما جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه، فدعاهم جهارا، ثم دعاهم

Marfat.com

سرارا ـ الى أن قال : وذكر عن قومه انهم تصاموا عن دعوته ، لعلمهم بما يجب عليهم من اجابة دعوته، فعلم العلماء بالله ما أشار اليه نوح في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم، وعلم انهم انما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والامر قرآن لافرقان ومن أقيم في القرآن لايصغي الى الفرقان وان كان فيه .

فيمدحون ويحمدون ماذمه الله ولعنه ونهى عنه، ويأتون من الافك والفرية على الله والالحادفي اسماءالله وآياته بما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا* كقول صاحب الفصوص في فص نوح:

(مما خطيئاتهم أغرقوا) فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة (فادخلوا ناراً) في عين الماء في المحمدتين ، (فاذا البحار سجرت ـ سجرت التنور اذا أوقدته (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) فكان الله عين انصارهم ، فهلكوا فيه الى الابد، فلو اخرجتهم الى السيف سيف الطبيعة لنزلوا عن هذه الدرجة الرفيعة ، وإن كان الكل لله وبالله بل هو الله (قال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين) الذين استغشوا ثيابهم وجعلوا أصابعهم فى آذانهم ، طلبا للستر لانه دعاهم ليغفر لهم ، والغفر الستر (ديارا) أحداً حتى تعم المنفعه كما عمت الدعوة (إنك إن تذرهم) أي تدعهم وتتركهم (يضلوا عبادك) أي يحيروهم ويخرجوهم من العبودية ، إلى ما فيهم من اسرار الربوبية، فينظروا انفسهم أربابا، بعد ما كانوا عند انفسهم عبيداً ، فهم العبيد الارباب (ولا يلدوا) أى ماينتجون ولا يظهرون (الا فاجراً) أى مظهر ماستر (كفارا) اى ساترا ماظهر بعد ظهوره، فينظرون ماسترهم ثم يسترون بعد ظهوره . فيحار الناظر، ولا يعرف قصد الفاجر في فجوره ولا الكافر في كفره، والشخص واحد (رب اغفر لي) اى استرني واسترمراحلى ، فيجهل مقامي وقدري كما جهل قدرك في قولك « وما قدروا الله حق قدره» (ولوالدي) أى من كنت تنتجه عنهما وهما العقل والطبيعة (ولمن دخل بيتي) أى قلبي (مؤمنا) مصدقا بما يكون فيه من الاخبار الالهية وهو ما

Marfat.com

حدثت به أنفسها (وللمؤمنين)من العقول(والمؤمنات)من النفوس(ولا تزد الظالمين
من الظلمات أهل العنت المكتنفين داخل الحجب الظلمانية (الا تبارا) أى هلاكا،
يعرفون نفوسهم، لشهودهم وجه الحق دونهم . اه

وهذا كله من أقبح تبديل كلام الله وتحريفه ،ولقد ذم الله أهل الكتا
في القرآن على ماهو دون هذا ، فانه ذمهم على انهم حرفوا الكلم عن مواض
وانهم (يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من ع
الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وهؤلاء قد حرفوا كلام ا
عن مواضعه أقبح تحريف ، وكتبوا كتب النفاق والالحاد بايديهم وزعموا ان
من عند الله ، تارة يزعمون انهم يأخذون من حيث يأخذ الملك الذي يوحي
إلى النبي، فيكون فوق النبي بدرجة،وتارة يزعمون انهم يأخذون من حيث يأخ
الله، فيكون أحدهم في عمله بنفسه بمنزلة علم الله به، لان الاخذ من معدن واحد
وتارة يزعم أحدهم أن النبي ﷺ أعطاه في منامه هذا النفاق العظيم ، والا
البليغ، وأمره ان يخرج به إلى أمته وانه أبرزه كما حدّ له رسول الله ﷺ من غ
زيادة ولا نقصان، وكان جماعة من الفضلاء ـ حتى بعض من خاطبني فيه وانتصر له
يرى أنه كان يستحل الكذب، ويختارون أن يقال كان يتعمد الكذب ، وان ذلك
هو أهون من الكفر،ثم صرحوا بان مقالته كفر. وكان ممن يشهد عليه بتعمد الكذ
غير واحد من عقلاء الناس وفضلائهم من المشايخ والعلماء

ومعلوم ان هذا من أبلغ الكذب على الله ورسوله وانه من أحق الناس بقو
(ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب أوقال أوحي الي ولم يوح اليه شيء) وكث
من المتنبئين الكذابين كالمختار بن أبي عبيد وأمثاله لم يبلغ كذبهم وافتراؤهم إلى هذا الحد
بل مسيلمة الكذاب لم يبلغ كذبه وافتراؤه إلى هذا الحد، وهؤلاء كلهم كان يعت
النبي ﷺ ويقر له بالرسالة ، لكن كان يدعي انه رسول آخر،ولا ينكر وجود الر

Marfat.com

لا ينكر القرآن في الظاهر، وهؤلاء جحدوا الرب واشركوا به كل شيء وافتروا هذه
لكتب التي قد يزعمون انها أعظم من القرآن، ويفضلون نفوسهم على النبي ﷺ
ن بعض الوجوه ، كما قد صرح به صاحب الفصوص عن خاتم الاولياء

وحدثني الثقة عن الفاجر التلمساني انه كان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه
وحيد وانما التوحيد في كلامنا

واما الضلال والحيرة فما مدح الله ذلك قط ولا قال النبي ﷺ « زدني فيك
حيراً » ولم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث ، ولا هو في شيء من
كتب الحديث ، ولا في شيء من كتب من يعلم الحديث، بل ولا من يعرف الله
رسوله، وكذلك احتجاجه بقوله (كلما اضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا)
إنما هذا حال المنافقين المرتدين ، فان الضلال والحيرة مما ذمه الله في القرآن، قال
الله تعالى في القرآن (قل اندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا
بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران) الآية

وهكذا يريد هؤلاء الضالون المتحيرون أن يفعلوا بالمؤمنين ، يريدون أن
يدعوا من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم، وهي المخلوقات والاوثان والاصنام
وكل ماعبد من دون الله، ويريدون أن يردوا المؤمنين على أعقابهم، يردونهم عن
الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، ويصيروا حائرين ضالين
كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى: ائتنا
قال تعالى (ونقلب افئدتهم وأبصارهم - الى قوله - يعمهون) أي يحارون ويترددون
قال تعالى (إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم * غير المغضوب عليهم
ولا الضالين) فامر بان نسأله هداية الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم المغايرين
للمغضوب عليهم وللضالين. وهؤلاء يذمون الصراط المستقيم ويمدحون طريق أهل
الضلال والحيرة، مخالفة لكتاب الله ورسله، ولما فطر الله عليه عباده من العقول والالباب

Marfat.com

فصل

﴿ في ذكر بعض ألفاظ ابن عربي التي تبين ما ذكرنا من مذهبه، فإ
أكثر الناس قد لا يفهمونه ﴾

قال في فص يوسف — بعد أن جعل العالم بالنسبة إلى الله كظل الشخص وتناقض في التشبيه : فكل ماتدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات ، فم حيث هوية الحق هو وجوده ، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو أعيان الممكنات فكما لا يزول عنه باختلاف الصور اسم الظل، كذلك لا يزول عنه باختلاف الصو اسم العالم أو اسم سوى الحق ، فمن حيث أحدية كونه ظلا هو الحق، لانه الواح الأحد، ومن حيث كثرة الصور هو العالم، فتفطن وتحقق ما أوضحناه لك . وإ كان الامر على ما ذكرته لك فالعالم متوهم ماله وجود حقيقي، وهذا معنى الخيا أي خيل لك انه أمر زائد قائم بنفسه خارج عن الوجود الحق ، وليس كذلك نفس الامر . ألا تراه في الحس متصلا بالشخص الذي امتد عنه يستحيل ع الانفكاك عن ذلك الاتصال ، لانه يستحيل على الشيء الانفكاك عن ذات فاعرف عينك ومن أنت وما هويتك ؟ وما نسبتك إلى الحق وبما أنت حق و أنت عالم وسوى وغير ؟ وماشا كل هذه الالفاظ

وقال في أول الفصوص بعد (فص حكمة آلهية في كلمة آدمية) وهو (فص ح نفثية ، في كلمة شيثية) وقد قسم العطاء بأمر الله وانما يكون عن سؤال وعن سؤال وذكر القسم الذي لانسان[1] لان شيثاً هو هبة الله — إلى أن قال: «ومن هؤلاء من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله هو ما كان عليه في حال ثبو

(١) كذا في الاصل وهو محرف أو سقط منه شيء والكلام في فص ش هذا يقتضي ان المراد أول انسان حصل له العلم بالنفث الملكي في الروع هو وهو علة تسميته . والشيخ أشار الى مقدمة هذا الفص اشارة مجملة لان غرضه ماب

Marfat.com

عينه قبل وجودها ويعلم ان الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به، وهو ما كان عليه في حال ثبوته، فيعلم علم الله به من أين حصل، وما ثم صنف من اهل الله أعلا وأكشف من هذا الصنف، فهم الواقفون على سر القدر، وهم على قسمين: منهم من يعلم ذلك مجملا، ومنهم من يعلم ذلك مفصلا، والذي يعلمه مفصلا أعلا وأتم من الذي يعلمه مجملا، فانه يعلم ما تعين في علم الله فيه، إما باعلام الله إياه بما أعطاه عينه من العلم به، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة وعن انتقالات الاحوال عليها إلى ما لا يتناهى، وهو أعلا، فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به، لان الأخذ من معدن واحد، الا انه من جهة العبد عناية من الله سبقت له هي من جملة أحوال عينه يعرفها صاحب هذا الكشف إذا أطلعه الله على ذلك (اي على احوال عينه) فانه ليس في وسع المخلوق اذا أطلعه الله على احوال عينه الثابتة التي تقع صورة الوجود عليها ان يطلع في هذه الحال على اطلاع الحق على هذه الاعيان الثابتة في حال عدمها، لانها نسب ذاتية لا صورة لها، فبهذا القدر نقول: ان العناية الالهية سبقت لهذا العبد بهذه المساواة في افادتها العلم، ومن هنا يقول (الله حتى نعلم) وهي كلمة محققة المعنى، ماهي كما يتوهم من ليس له هذا المشرب، وغاية المنزه ان يجعل ذلك الحدوث في العلم للتعلق، وهو اعلا وجه يكون للمتكلم يعقله في هذه المسئلة، لولا انه اثبت العلم زائداً على الذات فجعل التعلق له لا للذات، وبهذا انفصل عن المحقق من اهل الله صاحب الكشف والوجود.

ثم نرجع الى الاعطيات فنقول: إن الاعطيات إما ذاتية أو اسمائية، فأما المنح والهبات والعطايا الذاتية فلا تكون ابداً الا عن تجلى إلهي، والتجلي من الذات لا يكون ابداً الا لصورة استعداد العبد المتجلى له، وغير ذلك لا يكون، فاذن المتجلى له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق وما رأى الحق ولا يمكن ان يراه مع علمه انه ما رأى صورته إلا فيه، كالمرآة في الشاهد إذا رأيت الصور فيها لا تراها مع علمك انك ما رأيت الصور أو صورتك إلا فيها، فأبرز الله ذلك مثالا نصبه لتجليه

Marfat.com

الذاتي، ليعلم المتجلى له انه مار آه، وما ثم مثال اقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من هذا، واجهد في نفسك عند ماترى الصورة في المرآة ان ترى جرم المرآة لاتراه ابداً ألبتة، حتى ان بعض من أدرك مثل هذا في صور المرئي ذهب الى ان الصورة المرئية بين بصر الرائي وبين المرآة، هذا اعظم ما قدر عليه من العلم، والامر كما قلناه وذهبنا اليه . وقد بينا هذا في الفتوحات المكية ، واذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق، فلا تطمع ولا تتعب نفسك في ان ترقى أعلا من هذا الدرج فما هو ثم اصلا وما بعده الا العدم المحض، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك ، وأنت مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها ، وليست سوى عينه فاختلط الامر وانبهم ، فمنا من جهل في علمه فقال * والعجز عن درك الادراك ادراك *[1] ومنا من علم فلم يقل مثل هذا القول وهو أعلا القول ، بل اعطاه العلم السكوت ما اعطاه العجز ، وهذا هو اعلا عالم بالله .

وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء ، وما يراه احد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الاولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى ان الرسل لايرونه متى رأوه إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، فان الرسالة والنبوة ـ أعني نبوة التشريع ورسالته ـ ينقطعان، والولاية لاتنقطع أبداً . والمرسلون من حيث كونهم أولياء لايرون ماذكرناه إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، فكيف من دونهم من الاولياء ، وإن كان خاتم الاولياء تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع ، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ماذهبنا اليه، فانه من وجه يكون أنزل، كما انه من وجه يكون أعلا . وقد ظهر في ظاهر شرعنا مايؤيد ماذهبنا اليه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم ، وفي

(١) هذا القول منسوب الى الصديق الاكبر أبي بكر (رض) وابن عربي يفضل نفسه عليه في العلم بالله كما ترى بعده ويدعي انه مساو لرسول الله ﷺ بل يفضل نفسه عليه من بعض الجهات

Marfat.com

تأبير النخل . فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة . وانما نظر الرجال الى التقدم في مرتبة العلم بالله ، هنالك مطلبهم، وأما حوادث الاكوان فلا تعلق لخواطرهم بها، فتحقق ما ذكرناه

« ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة فكان النبي ﷺ تلك اللبنة، غير انه ﷺ لا يراها الا كما قال لبنة واحدة . وأما خاتم الاولياء فلابد له من هذه الرؤية ما مثل به رسول الله ﷺ فيرى في الحائط موضع لبنتين واللبن من ذهب وفضة فيرى اللبنتين اللتين ينقص الحائط عنهما ويكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة، فلا بد من أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الاولياء تينك للبنتين ، ليكمل الحائط

«والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره وما ينبعه فيه من الاحكام ، كما هو آخذ عن الله تعالى في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه ، لانه رأى الامر على ما هو عليه ، فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فانه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول .

«فان فهمت ماأشرت به فقد حصل لك العلم النافع فكل نبي من لدن آدم الى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين وان تأخر وجود طينته، فانه بحقيقته موجود ،وهو قوله ﷺ « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين »وغيره من الانبياء ما كان نبيا الا حين بعث . وكذلك خاتم الاولياء كان وليا وآدم بين الماء والطين، وغيره من الاولياء ما كان وليا الا بعد تحصيله شرائط الولاية من الاخلاق الالهية والاتصاف بها من اجل كون الله يسمى بالولي الحميد

«فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية مثل نسبة الانبياء والرسل

Marfat.com

معه، وانه الولي الرسول النبي . وخاتم الاولياء الولي الوارث الآخذ عن الاصل المشاهد المراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل محمد ﷺ، مقدم الجماعة، وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة . فعين بشفاعته حالا خاصا ما عم . وفي هذه الحال الخاص تقدم على الاسماء الآلهية . فان الرحمن ماشفع عند المنتقم في أهل البلاء الا بعد شفاعة الشافعين ، ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص

« فمن فهم المراتب والمقامات لم يعسر عليه قبول مثل هذا الكلام » اه

*

فهذا الفص قد ذكر فيه حقيقة مذهبه التى يبنى عليها سائر كلامه فتدبر ما فيه من الكفر الذي (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) وما فيه من جحد خلق الله وامره، وجحود ربوبيته وألوهيته وشتمه وسبه، وما فيه من الازراء برسله وصديقيه والتقدم عليهم بالدعاوي الكاذبة ، التي ليس عليها حجة، بل هي معلومة الفساد بادنى عقل وإيمان، وأيسر ما يسمع من كتاب وقرآن، وجعل الكفار والمنافقين والفراعنة هم أهل الله وخاصته أهل الكشوف وذلك باطل من وجوه

(إحداها) انه أثبت له عينا ثابتة قبل وجوده ولسائر الموجودات وإن ذلك ثابت له ولسائر أحواله وكل ما كان موجودا من الاعيان والصفات والجواهر والاعراض فعينه ثابتة قبل وجوده . وهذ ضلال قد سبق اليه كما تقدم

(الثاني) انه جعل علم الله بالعبد انما حصل له من علمه بتلك العين الثابتة في العدم التي هي حقيقة العبد ، لا من نفسه المقدسة ، وأن علمه بالاعيان الثابتة في العدم واحوالها تمنعه أن يفعل غير ذلك، وأن هذا هو سر القدر. فتضمن هذا وصف الله تعالى بالفقر الى الاعيان وغناها عنه، ونفى ما استحقه بنفسه من كمال علمه وقدرته، ولزوم التجهيل والتعجيز ، وبعض ما في هذا الكلام المضاهاة لما ذكره الله عمن قال (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء) الآية، فانه جعل حقائق الاعيان الثابتة في العدم غنية عن الله في حقائقها وأعيانها ، وجعل الرب

Marfat.com

مفتقرا اليه في علمه بها، فما استفاد علمه بها الا منها، كما يستفيد العبد العلم بالمحسوسات من إدراكه لها، مع غنى تلك المدركات عن المدرك . والمسلمون يعلمون ان الله عالم بالاشياء قبل كونها بعلمه القديم الازلي الذي هو من لوازم نفسه المقدسة لم يستفد علمه بها منها (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فقد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالاشياء من وجوه انتظمت البراهين المذكورة لاهل النظر والاستدلال القياسي العقلي من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم

(أحدها) انه خالق لها والخلق هو الابداع بتقدير، وذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل كونها في الخارج

(الثاني) أن ذلك مستلزم للارادة والمشيئة، والارادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به ، وهذه الطريقة المشهورة عند اكثر أهل الكلام

(الثالث) انها صادرة عنه وهو سببها التام والعلم باصل الامر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب. فعلمه بنفسه مستلزم العلم بكل ما يصدر عنه

(الرابع) انه في نفسه لطيف يدرك الدقيق ، خبير يدرك الخفي، وهذا هو مقتضي العلم بالاشياء ، فيجب وجود المقتضى لوجود السبب التام ، فهو في علمه بالاشياء مستغن بنفسه عنها كما هو غني بنفسه في جميع صفاته. ثم إذا رأى الاشياء بعد وجودها وسمع كلام عباده ونحو ذلك فانما يدرك ما أبدع وما خلق وما هو مفتقر اليه ومحتاج من جميع وجوهه، لم يحتج في علمه وادراكه الى غيره البتة. فلا يجوز القول بان علمه بالاشياء استفاده من نفس الاشياء الثابتة الغنية في ثبوتها عنه

وأما جحود قدرته فلانه جعل الرب لا يقدر الا على تجليه في تلك الاعيان الثابتة في العدم الغنية عنه، فقدرته محدودة بها مقصورة عليها مع غناها عنه وثبوت حقائقها بدونه. وهذا عنده هو السر الذي اعجز الله أن يقدر على غير ما خلق، فلا يقدر عنده على أن يزيد في العالم ذرة ولا ينقص منه ذرة ، ولا يزيد في المطر قطرة

Marfat.com

ولا ينقص منه قطرة،ولا يزيد في طول الانسان ولا ينقص منه ، ولايغير شيئا من صفاته ولا حركاته ولا سكناته،ولا ينقل حجرا عن مقره، ولا يحول ماءعن ممره،ولا يهدي ضالا ولا يضل مهتديا،ولا يحرك ساكنا ولايسكن متحركا . ففي الحملة لا يقدر الا على ما وجد،لان ما وجد فعينه ثابتة في العدم ولايقدر على اكثر من ظهوره في تلك الاعيان

وهذا التجلي والتعجيز الذي ذكره وزعم انه هوسر القدر وإن كان قد تضمن بعض ما قاله غيره من الضلال ففيه من الكفر ما لا يرضاه غيره من الضالين . فان القائلين بان المعدوم شيء يقولون ذلك في كل ممكن كان أو لم يكن ، ولا يجعلون علمه بالاشياء مستفاداً من الاشياء قبل أن يكون وجودها ، ولا خلقه وقدرته مقصورة على ما علمه منها، فانه يعلم أنواعا من الممكنات لم يخلقها. فمعلومه من الممكنات أوسع مما خلقه ، ولا يجعلون المانع من أن يخلق غير ماخلق. هو كون الاعيان الثابتة في العدم لاتقبل سوى هذا الوجود، بل يمكن عندهم وجودها على صفة أخرى،هي أيضا من الممكن الثابت في العدم.فلايفضي قولهم لا الى تجهيل ولا إلى تعجيز من هذا الوجه.وإنما قد يقولون المانع من ذلك أن هذا هو أكمل الوجوه وأصلحها،فعلمه بانه لا أكمل من هذا يمنعه أن يريد ما ليس أكمل بحكمته فيجعلون المانع أمراً يعود إلى نفسه المقدسة حتى لا يجعلونه ممنوعا من غيره،فاين من لا يجعل له مانعا من غيره ولا رادّ لقضائه ممن يجعله ممنوعا مصدودا؟ وأين من يجعله عالما بنفسه ممن يجعله مستفيداً للعلم من غيره ؟ وممن هو غني عنه؟هذامع أن اكثر الناس انكروا على من قال: ليس في الامكان أبدع من هذ العالم

(الثالث) انه زعم ان من الصنف الذي جعله اعلا اهل الله من يكون في علمه بمنزلة علم الله،لان الاخذ من معدن واحد اذا كشف له عن أحوال الاعيان الثابتة في العدم فيعلمها من حيث علمها الله، الا انه من جهة العبد عناية من الله سبقت له

Marfat.com

هى من جملة احوال عينه يعرفها صاحب هـذا الكشف اذا أطامه الله على ذلك فجعل علمه وعلم الله من معدن واحد

(الرابع) انه جعل الله عالما بها بعد ان لم يكن عالما واتبع المتشابه الذي هو قوله: (حتى يعلم) وزعم انها كلمة محققة المعنى بناء على أصله الفاسد أن وجود العبد هو عين وجود الرب، فكل مخلوق علم مالم يكن علمه فهو الاله علم مالم يكن علمه . وهذا ماسبقه اليه كافر، فان غاية المكذب بقدر الله ان يقول ان الله علم مالم يكن عالما، اما انه يجعل كل ماتجدد لمخلوق من العلم فانما تجدد لله ، وأن الله لم يكن عالما بما علمه كل مخلوق حتى علمه ذلك المخلوق

(الخامس) انه زعم ان التجلي الذاتي بصورة استعداد المتجلى والمتجلى له مارأى سوى صورته في مرآة الحق، وانه لا يمكن أن يرى الحق مع علمه بانه مارأى صورته إلا فيه، وضرب المثل بالمرآة فجعل الحق هو المرآة والصورة في المرآة هى صورته

وهذا تحقيق ماذكرته من مذهبه : أن وجود الاعيان عنده وجود الحق ، والاعيان كانت ثابتة في العدم ، فظهر فيها وجود الحق بالمتجلى له . والعبد لا يرى الوجود مجرداً عن الذوات، مايرى إلا الذوات التي ظهر فيها الوجود. فلا سبيل له إلى رؤية الوجود أبداً . وهذا عنده هو الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق وما بعده إلا العدم المحض ، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك وأنت مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها . وذلك لان العبد لا يري نفسه التي هى عينه إلا في وجود الحق الذي هو وجوده ، والعبد مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها، لان اسماء الحق عنده هى النسب والاضافات التي بين الاعيان وبين وجود الحق ، وأحكام الاسماء هى الاعيان الثابتة في العدم، وظهور هذه الاحكام بتجلى الحق في الاعيان، والاعيان التي هي حقيقة العبد هي مرآة الحق التي بها يرى اسماءه وظهور أحكامها . فانه إذا ظهر في الاعيان حصلت النسبة التي بين

Marfat.com

الوجود والاعيان وهي الاسماء ، وظهرت أحكامها وهي الاعيان ، ووجود هذه الاعيان هو الحق ، فلهذا قال وليست سوى عينه ، فاختلط الامر وانبهم .

فتدبر هذا من كلامه وما يناسبه لتعلم مايعتقده من ذات الحق واسمائه، وان ذات الحق عنده هي نفس وجود المخلوقات ، واسماءه هي النسب التي بين الوجود والاعيان ، وأحكامها هي الاعيان. لتعلم كيف اشتمل كلامه على الجحود لله ولاسمائه وصفاته وخلقه وأمره، وعلى الالحاد في أسماء الله وآياته، فان هذا الذى ذكره غاية الالحاد في أسماء الله وآياته الآيات المخلوقة والآيات المتلوة، فانه لم يثبت له اسما ولا آية، إذ ليس إلا وجوداً واحداً وذاك ليس هو اسما ولا آية، والاعيان الثابتة ليست هي اسماءه ولا آياته، ولما اثبت شيئين فرق بينهما الوجود والثبوت وليس بينهما فرق. اختلط الامر عليه وانبهم .

وهذا حقيقة قوله وسر مذهبه الذي يدعى انه به أعلم العالم بالله ، وأنه تقدم بذلك على الصديق الذي جهل فقال : العجز عن لادراك إدراك ، وتقدم به على المرسلين الذين علموا ذلك من مشكاته(*) وفيه من أنواع الكفر والضلال مايطول عدها (منها) الكفر بذات الله إذ ليس عنده إلا وجود المخلوق (ومنها) الكفر باسماء الله وأنها ليست عنده إلا أمور عدميه فاذا قلنا الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فليس الرب عنده إلا نسبة الى[٢]

(السادس) انه قال واختلط الامر وانبهم، اوهو على أصله الفاسد مختلط منبهم

---

(١) لانه يدعي أنه هو ختم الولاية ، وان خاتم الولاية أعلى من خاتم النبوة في الباطن ، وان كان يتبعه في الظاهر ، الخ ماتقدم، وغايته انه بلغ من غروره بما حذقه من الثرثرة بخلط النظريات الفلسفية بالخيالات الصوفية ان حاول اقناع قراء فصوصه بانه رب العالمين من حيث انه أكمل مظهر للخلق الذي هو عين الحق ، وما الرب عنده إلا نسبة اضافية بين مايسمى حقا ومايسمى خلقا وهما في نفس الامر بشيء واحد

(٢) بياض في الاصل يعلم ماسقط منه مما تقدم

Marfat.com

وعلى أصل أهل الهدى والايمان متميز متبين، قد بين الله بكتابه الحق من الباطل والهدى من الضلال.

قال: فمنا من جهل علمه فقال العجز عن درك الادراك. وهذا الكلام مشهور عندهم لنسبته إلى أبي بكر الصديق، فجعله جاهلا وإن كان هذا اللفظ لم ينقل عن أبي بكر ولاهو ماثور عنه في شيء من النقول المعتمدة، وانما ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر نحوا من ذلك عن بعض التابعين غير مسمى، وإنما يرسل ارسالا من جهة من يكثر الخطا في مراسليهم، كما يحكون عن عمر أنه قال: كان النبي ﷺ وابو بكر إذا تخاطبا كنت كالزنجي بينهما». وهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة، وإنما الذي في الصحيح عن ابي سعيد الخدري قال خطبنا رسول ﷺ على المنبر «فقال ان عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار ذلك العبد ماعند الله» فبكى أبو بكر. فقال: بل نفديك بانفسنا وأموالنا، أو كما قال، فجعل الناس يقولون: عجبا لهذا الشيخ يبكي ان ذكر رسول الله ﷺ عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة. فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر هو أعلمنا به. وكان أبو بكر هو أعلمهم بمراد رسول الله ﷺ ومقاصده في كلامه. وإن كانوا كلهم مشتركين في فهمه.

وهذا كما في الصحيح أنه قيل لعلي عليه السلام: هل ترك عندكم رسول الله ﷺ شيئا؟ وفي لفظ: هل عهد اليكم رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس؟ فقال «لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة، الا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه، وما في هذه الصحيفة(١) وبهذا ونحوه من الاحاديث الصحيحة استدل العلماء على أن مايذكر عن علي وأهل البيت من انهم إختصوا بعلم خصهم به النبي ﷺ دون

(١) هي صحيفة علقها في سيفه كتب فيها عن النبي ﷺ أحكام الدية وفكاك الاسير وتحريم المدينة

Marfat.com

غيرهم كذب عليهم ، مثل مايذكر منه الجفر والبطاقة والجدول ، وغير ذلك وما يأثره القرامطة الباطنية عنهم ، فانه قد كذب على جعفر الصادق رضي الله عنه مالم يكذب على غيره . وكذلك كذب على علي عليه السلام وغيره من أئمة أهل البيت رضي الله عنهم ، كما قد بين هذا وبسط في غير هذا الوضع

وهكذا يكذب قوم من النساك ومدعي الحقائق على أبي بكر وغيره وأن النبي ﷺ كان يخاطبه بحقائق لا يفهمها عمر مع حضوره . ثم قد يدعون انهم عرفوها وتكون حقيقتها زندقة والحادا . وكثير من هؤلاء الزنادقة والجهال قد يحتج على ذلك بحديث ابي هريرة « حفظت عن رسول الله ﷺ جرابين اما احدهما فبثثته فيكم . وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا الحلقوم » وهذا الحديث صحيح ، لكن الجراب الآخر لم يكن فيه شيء من علم الدين ومعرفة الله وتوحيده الذي يختص به أولياؤه ، ولم يكن أبو هريرة من أكابر الصحابة الذين يخصون بمثل ذلك لو كان هذا مما يخص به ، بل كان في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين ، فان النبي ﷺ أخبرهم بما سيكون من الفتن بين المسلمين ، وممن الملاحم التي تكون بينهم وبين الكفار . ولهذا لما كان مقتل عثمان وفتنة ابن الزبير ونحو ذلك قال ابن عمر : لو أخبركم أبو هريرة انكم تقتلون خليفتكم وتهدمون البيت (١) وغير ذلك لقلتم : كذب أبو هريرة ، فكان أبو هريرة يمتنع من التحديث باحاديث الفتن قبل وقوعها لان ذلك مما لا يحتمله رؤس الناس وعوامهم . وكذلك يحتجون بحديث حذيفة بن اليمان وانه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، وحديث حذيفة معروف ، لكن السر الذي لا يعلمه غيره هو معرفته باعيان المنافقين الذين كانوا في غزوة تبوك . ويقال : انهم كانوا هموا

(١) بل قال أبو هريرة نفسه لو قلت لكم انكم ستحرقون بيت ربكم وتقتلون ابن نبيكم لقلتم لا أكذب من أبي هريرة . وقد كان قتل الحسين عليه السلام بعد موت أبي هريرة وانما كان يخاف قطع حلقومه من بني أمية

Marfat.com

جالفتك بالنبي ﷺ فأوحى إلى النبي ﷺ أمرهم ، فاخبر حذيفة باعيانهم . ولهذا كان عمر لا يصلي إلا على من صلى عليه حذيفة، لان الصلاة على المنافقين منهي عنها

وقد ثبت في الصحيح عن حذيفة انه لما ذكر الفتن وانه أعلم الناس بها بين ان النبي ﷺ لم يخصه بحديثها ولكن حدث الناس كلهم، قال «وكان أعلمنا احفظنا »

ومما يبين هذا أن في السنن ان النبي ﷺ كان عام الفتح قد اهدر دم جماعة: منهم عبد الله بن أبي سرح ، فجاء به عثمان إلى النبي ﷺ ليبايعه، فتوقف عنه النبي ﷺ ساعة، ثم بايعه وقال «أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أمسكت عن هذا فيضرب عنقه» فقال رجل من الانصار . يارسول الله ، هلا أومأت إلي؟ فقال « ماينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين» فهذا ونحوه مما يبين ان النبي ﷺ يستوي ظاهره وباطنه، لا يظهر للناس خلاف مايبطنه، كما تدعيه الزنادقة من المتفلسفة والقرامطة وضلال المتنسكة ونحوهم

(السابع) انه «قال ومنا من علم فلم يقل مثل هذا ، وهو أعلى القول ، بل أعطاه العلم والسكوت ما أعطاه العجز. وهذا هو أعلا عالم بالله. وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء، وما يراه أحد من الاولياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه احد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم. حتى إن الرسل لا يرونه حتى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء . فان الرسالة والنبوة أعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان، والولاية لا تنقطع ابداً. فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء؟ وإن كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه، فانه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون اعلا ـ الى قوله ـ ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن

Marfat.com

فني هذا الكلام من أنواع الالحاد والكفر وتنقيص الانبياء والرسل ما لا تقوله لا اليهود ولا النصارى . وما اشبهه في هذا الكلام بما ذكر في قول القائل : فخر عليهم السقف من تحتهم ان هذا لا عقل ولا قرآن. وكذلك ما ذكره هنا من أن الانبياء والرسل تستفيد من خاتم الاولياء الذي بعدهم هو مخالف للعقل فان المتقدم لا يستفيد من المتأخر. ومخالف للشرع ، فانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن الانبياء والرسل أفضل من الاولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رسلا. وقد يزعم ان هذا العلم الذي هو عنده أعلى العلم وهو القول بوحدة الوجود، وان وجود الخالق هو وجود المخلوق وهو تعطيل الصانع حقيقة وجحده، وهو القول الذي يظهره فرعون. فلم يكفه زعمه ان هذا حق ، حتى زعم انه أعلا العلم، ولم يكفه ذلك حتى زعم ان الرسل إنما يرونه من مشكاة خاتم الاولياء . فجعل خاتم الاولياء أعلم بالله من جميع الانبياء والرسل، وجعلهم يرون العلم بالله من مشكاته

ثم أخذ يبين ذلك فقال: فان الرسالة والنبوة اعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع ابداً . فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء ، وذلك انه لم يمكنهم أن يجعلوا بعد النبي ﷺ نبيا ورسولا فان هذا كفر ظاهر ، فزعموا انه إنما تنقطع نبوة التشريع ورسالته، يعني وأما نبوة التحقيق ورسالة التحقيق وهي الولاية عندهم فلم تنقطع، وهذه الولاية عندهم هي أفضل من النبوة والرسالة، ولهذا قال ابن عربي في بعض كلامه:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

وقال في الفصوص في (كلمة عزيرية) «فاذا سمعت أحداً من أهل الله تعالى يقول أو ينقل اليك عنه انه قال الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه، أو يقول: إن الولي فوق النبي والرسول فانه يعني بذلك في شخص واحد، وهو أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولي أتم منه من حيث هو نبي ورسول ، لا أن

Marfat.com

الولي التابع له أعلا منه ، فان التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه (١) إذ لو أدركه لم يكن تابعا له » . وإذا حوقفوا على ذلك قالوا : ان ولاية النبي فوق نبوته وإن نبوته فوق رسالته ، لانه يأخذ بولايته عن الله ، ثم يجعلون مثل ولايته ثابتة لهم ، ويجعلون ولاية خاتم الاولياء أعظم من ولايته ، وأن ولاية الرسول تابعة لولاية خاتم الاولياء الذي ادعوه »

وفي هذا الكلام أنواع قد بيناها في غير هذا الموضع (منها) أن دعوى المدعي وجود خاتم الاولياء على ما ادعوه باطل لا أصل له ، ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب (ختم الولاية) وقد ذكر في هذا الكتاب ماهو خطأ وغلط مخالف للكتاب والسنة والاجماع وهو رحمه الله تعالى وإن كان فيه فضل ومعرفة ومن الكلام الحسن المقبول والحقائق النافعة أشياء محمودة ففي كلامه من الخطأ ما يجب رده ومن أشنعها ماذكره في ختم الولاية ، مثل دعواه فيه انه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما . ثم انه تناقض في موضع آخر لما حكى عن بعض الناس ان الولي يكون منفرداً عن الناس ، فابطل ذلك واحتج بابي بكر وعمر وقال يلزم هذا أن يكون أفضل من ابي بكر وعمر ، وأبطل ذلك (ومنها) انه ذكر في كتابه ما يشعر ان ترك الاعمال الظاهرة ولو أنها التطوعات المشروعة أفضل في حق الكامل ذي الاعمال القلبية وهذا أيضا خطأ عند أئمة الطريق ، قال أكمل الخلق رسول الله ﷺ وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وما زال محافظ على ما

---

(١) هامش الاصل ما نصه : قوله فيما هو تابع له فيه ، كانه يريد ما يزعم من انه تابع للنبي ﷺ في الشرع الظاهر . وأما الباطن فلا ، لانه يزعم ان خاتم الانبياء وجميع الانبياء والرسل يأخذون من مشكاته ، فهو عند نفسه أعلى منهم في ذلك . قبحه الله . انتهى من خط الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى رحمه الله

Marfat.com

يمكنه من الاوراد والتطوعات البدنيه الى مماته (ومنها) ما ادعاه من خاتم الاولياء الذي يكون في آخر الزمان وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الاولياء ، وانه يكون معهم كخاتم الانبياء مع الانبياء . وهذا ضلال واضح . فان أفضل اولياء الله من هذه الامة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وامثالهم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة . وخير القرون قرنه ﷺ كما في الحديث الصحيح « خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفي الترمذي وغيره أنه قال في ابي بكر وعمر « هذان سبدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين » قال الترمذي حديث حسن وفي صحيح البخاري عن علي عليه السلام انه قال له ابنه يا أبت ، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال « يا بني ابو بكر » قال : ثم من ؟ قال « ثم عمر » وروى بضع وثمانون نفسا عنه انه قال « خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر »

وهذا باب واسع وقد قال تعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وهذه الاربعة هي مراتب العباد: أفضلهم الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون. وقد نهى النبي ﷺ ان يفضل أحدمنا نفسه على يونس ابن متى مع قوله (ولا تكن كصاحب الحوت) وقوله (وهو مليم) تنبيها على ان غيره أولى أن لا يفضل أحد نفسه عليه. ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « لا يقولن أحدكم اني خير من يونس بن متى » وفي صحيح البخاري أيضا عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما ينبغي لعبد أن يكون خيرا من يونس بن متى » وفي لفظ « أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وفي البخاري أيضا عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب » وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال - يعني رسول الله « لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى » وفي الصحيحين عن ابن عباس

Marfat.com

عن النبي ﷺ - وفي لفظ : فيما يرويه عن ربه «لا ينبغي لعبد أن يقول انا خير من يونس بن متى » وهذا فيه نهي عام

وأما مايرويه بعض الناس «لاتفضلوني على يونس بن متى» ويفسره باستواء حال صاحب المعراج وصاحب الحوت فنقل باطل وتفسير باطل . وقد قال النبي ﷺ «اثبت حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » وأبو بكر أفضل الصديقين

ولفظ خاتم الاولياء لايوجد في كلام أحد من سلف الامة ولا أئمتها ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله. وموجب هذا اللفظ انه آخر مؤمن تقي، فان الله يقول (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) الآية(١) فكل من كان مؤمنا «تقيا» كان لله ولياً ، وهم على درجتين :السابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون، كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر ، وسورة الواقعة ، والانسان ، والمطففين

وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه» فالمتقربون إلى الله بالفرائض هم الابرار المقتصدون أصحاب اليمين، والمتقربون اليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض هم السابقون المقربون، وإنما تكون النوافل بعد الفرائض . وقد قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر بن الخطاب «اعلم ان لله عليك حقا بالليل لايقبله بالنهار، وحقا بالنهار لايقبله بالليل، وانها لاتقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة

والاتحادية يزعمون ان قرب النوافل يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه، وأن

(١) يعني الآية التي بعد هذه المفسرة للاولياء بالمؤمنين المتقين

Marfat.com

قرب الفرائض يوجب ان يكون الحق عين وجوده كله. وهذا فاسد من وجوه كثيرة، بل كفر صريح كما بيناه في غير هذا الموضع. واذا كان خاتم الاولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل الاولياء ولا أكملهم بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم، فانه كلما كان الولي أعظم اختصاصا بالرسول وأخذا عنه وموافقة له كان أفضل، اذ الولي لايكون ولياً لله الا بمتابعة الرسول باطناً وظاهراً. فعلى قدر المتابعة للرسول يكون قدر الولاية لله

والاولياء وان كان فيهم محدّث كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «انه كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي فعمر» فهذا الحديث يدل على أن أول المحدثين من هذه الامة عمر وأبو بكر أفضل منه، اذ هو الصديق والمحدث وان كان يلهم ويحدث من جهة الله تعالى فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة فانه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي: قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والالهام. ولهذا كان عمر بن الخطاب وقافا عند كتاب الله وكان ابو بكر الصديق يبين أشياء تخالف مايقع له كما بين له يوم الحديبية ويوم موت النبي ﷺ ويوم قتال مانعي الزكاة وغير ذلك، وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة فتارة يرجع اليهم وتارة يرجعون اليه وربما قال القول وترد عليه امرأة من المسلمين قوله وتبين له الحق فيرجع اليها ويدع قوله كما قدر الصداق، وربما يرى رأيا فيذكر له حديث عن النبي ﷺ فيعمل به ويدع رأيه وكان يأخذ بعض السنة عمن هو دونه في قضايا متعددة، وكان يقول القول فيقال له: أصبت فيقول: مايدري عمر أصاب الحق أم أخطاه. فاذا كان هذا امام المحدثين، فكل ذي قلب يحدثه قلبه عن ربه الى يوم القيامة هو دون عمر فليس فيهم معصوم بل الخطأ يجوز عليهم كلهم وان كان طائفة تدعي أن الولي محفوظ وهو نظير مايثبت للانبياء من العصمة، والحكيم الترمذي قد أشار إلى هذا فهذا

Marfat.com

باطل مخالف للسنة والاجماع ، ولهذا اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وان كانوا متفاضلين في الهدى والنور والاصابة،ولهذا كان الصديق أفضل من المحدث ، لان الصديق يأخذمن مشكاة النبوة فلا يأخذ إلا شيئا معصوما محفوظا ، واما المحدث فيقع له صواب وخطأ ، والكتاب والسنة تميز صوابه من خطئه . وبهذا صار جميع الاولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة ، لابد لهم أن يزنوا جميع امورهم بآثار الرسول ، فما وافق آثارالرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل وان كانوا مجتهدين فيه والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم ويغفر لهم خطأهم .

ومعلوم ان السابقين الاولين أعظم اهتداء واتباعا للآثارالنبوية فهم أعظم إيمانا وتقوى. وأما آخر الاولياء فلا يحصل له مثل ماحصل لهم .

والحديث الذي يروى « مثل أمتي كمثل الغيث لايدرى أوله خير أو آخره » قد تكلم في إسناده ، وبتقدير صحته انما معناه بما في آخر الامة من يقارب أولها(١) حتى يشتبه على بعض الناس أيهما خير كما يشتبه على بعض الناس طرفا الثوب،مع القطع بأن الاول خير من الآخر ولهذا قال«لا يدرى»ومعلوم أن هذا السلب ليس عاما لها فانه لابد أن يكون معلوما أيهما أفضل .

ثم ان هذا خاتم الاولياء صار مرتبة موهومة لاحقيقة له وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف ، وقد ادعاها غير واحد ولم يدعها إلا من في كلامه من الباطل مالم تقله اليهود ولا النصارى ، كما ادعاها صاحب الفصوص ، وتابعه صاحب الكلام في

---

(١) فيه معنى آخر ، وهو ان هذا الخير في المتأخر نسبي وهو ان القليل منه يعد كثيراً بالنسبة الى فساد زمنه . ويدل عليه أحاديث: منها انه عندما يجاهر الناس بالزنا في الطرق يقول قائلهم : ماضر هذين لو استترا وراء هذا الجدار ـ وهو يعد كأبي بكر وعمر فيكم

Marfat.com

الحروف ، وشيخ من أتباعهم كان بدمشق، وآخر كان يزعم انه المهدي الذي يزوج بنته بعيسى بن مريم ، وانه خاتم الاولياء . ويدعي هؤلاء وأمثالهم من الامور ما لا يصلح الا لله وحده ، كما قد يدعي المدعي منهم لنفسه أو لشيخهما ادعته النصاري في المسيح

ثم صاحب الفصوص وأمثاله بنوا الامر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبي يأخذ بواسطة الملك ، فلهذا صار خاتم الاولياء أفضل عندهم من هذه الجهة ، وهذا باطل وكذب، فان الولي لا ياخذ عن الله إلا بواسطة الرسول اليه ، وإذا كان محدثا قد ألقي اليه شيء وجب عليه أن يزنه بما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ،

وتكليم الله لعباده على ثلاثة أوجه : من وراء حجاب كما كلم موسى ، وبارسال رسول كما أرسل الملائكة الى الانبياء ، وبالايحاء ، وهذا فيه للولي نصيب ، وأما المرتبتان الاوليان فانهما للانبياء خاصة ، والاولياء الذين قامت عليهم الحجة بالرسل لا ياخذون علم الدين إلا بتوسط رسل الله اليهم ، ولو لم يكن الا عرضه على ماجاء به الرسول(١) ولن يصلوا في أخذهم عن الله الى مرتبة نبي أو رسول، فكيف يكونون آخذين عن الله بلا واسطة ويكون هذا الاخذ أعلى وهم لا يصلون الى مقام تكليم موسى. ولا الى مقام نزول الملائكة عليهم كما نزلت على الانبياء ، وهذا دين المسلمين واليهود والنصارى

وأما هؤلاء الجهمية الاتحادية فبنوا على اصلهم الفاسد : ان الله هو الوجود المطلق الثابت لكل موجود ، وصار ما يقع في قلوبهم من الخواطر - وان كانت

(١) كذا ولعل جواب لو سقط من الناسخ أو حذف للعلم به . وفيه انهم يعترفون بهذا الاخذ لاحكام التشريع الظاهرة دون الحقائق الباطنة التي يدعونها ويطلقونها على فلسفتهم وخيالاتهم الباطلة

Marfat.com

من وساوس الشيطان ـ يزعمون انهم أخذوا ذلك عن الله بلا واسطة ، وانهم يكلّمون كما كلم موسى بن عمران ، وفيهم من يزعمون ان حالهم أفضل من حال موسى ابن عمران، لان موسى سمع الخطاب من الشجرة وهم على زعمهم يسمعون الخطاب من حي ناطق كما يذكر عن صاحب الفصوص انه قال:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وأعانهم على ذلك ما اعتقدوه من مذاهب الجهمية وأتباعهم الذين يزعمون أن تكليم الله لموسى انما كان من جنس الالهام؛ وان العبد قد يرى الله في الدنيا اذا زال عن عينه المانع اذ لا حجاب عندهم الرؤية منفصل عن العبد، وانما الحجاب متصل به ، فاذا ارتفع شاهد الحق ، وهم لا يشاهدون الا ما يتمثلونه من الوجود المطلق الذي لا حقيقة له الا في أذهانهم ، ومن الوجود المخلوق . فيكون الرب المشهود عندهم الذي يخاطبهم في زعمهم لا وجود له الا في أذهانهم او لا وجود له الا وجود المخلوقات . هذا هو التعطيل للرب تعالى ولكتبه ولرسله ، والبدع دهليز الكفر والنفاق، كما ان التشيع دهليز الرفض، والرفض دهليز القرمطة والتعطيل . فالكلام الذي فيه تجهم دهليز الزندقة والتعطيل. وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ انه قال« واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ولهذا اتفق سلف الامة وأئمتها على أن الله يُرى في الآخرة ، وانه لا يراه أحد في الدنيا بعينه .

وفي رؤية النبي ﷺ ربه كلام معروف لعائشة وابن عباس، فعائشة أنكرت الرؤية. وابن عباس ثبت عنه في صحيح مسلم انه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين . وكذلك ذكر أحمد عن أبي ذر وغيره انه أثبت رؤيته بفؤاده وهذا المنصوص عن ابن عباس وأبي ذر وغيرهما هو المنصوص عن أحمد وغيره من أئمة السنة ، ولم يثبت عن أحد منهم إثبات الرؤية بالعين في الدنيا ، كما لم يثبت عن أحد منهم انكار الرؤية في الآخرة ، ولكن كلا القولين تقول به طوائف من الجهمية ، فالنفي يقول به متكلمة الجهمية ،

Marfat.com

والاثبات يقول به بعض متصوفة الجهمية كالاتحادية وطائفة من غيرهم، وهؤلاء الاتحادية يجمعون بين النفي والاثبات، كما يقول ابن سبعين : عين ما ترى ذات لاترى، وذات لاترى عين ماترى . ونحو ذلك ، لان مذهبهم مستلزم الجمع بين النقيضين ، فهم يقولون في عموم الكائنات ما قالته النصارى في المسيح ، ولهذا تنوعوا في ذلك تنوع النصارى في المسيح

ومن الانواع التي في دعواهم ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء من بعض الوجوه، فان هذا لم يقله أبو عبد الله الحكيم الترمذي ولا غيره من المشايخ المعروفين ، بل الرجل اجل قدراً وأعظم ايمانا من ان يفتري هذا الكفر الصريح ، ولكن اخطأ شبراً ، ففرعوا على خطئه ماصار كفراً.

وأعظم من ذلك زعمه ان الاولياء والرسل من حيث ولايتهم تابعون لخاتم الاولياء وأخذوا من مشكاته ، فهذا باطل بالعقل والدين، فان المتقدم لاياخذ من المتأخر ، والرسل لاياخذون من غيرهم . وأعظم من ذلك انه جعلهم تابعين له في العلم بالله الذي هو أشرف علومهم ، وأظهر من ذلك انه جعل العلم بالله هو مذهب أهل وحدة الوجود القائلين بان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق

فليتدبر المؤمن هذا الكفر القبيح درجة بعد درجة . واستشهاده على تفضيل غير النبي عليه بقصة عمر وتابير النخل ، فهل يقول مسلم ان عمر كان أفضل من النبي ﷺ برأيه في الاسرى ؟ وان الفلاحين الذين يحسنون صناعة التأبير أفضل من الانبياء في ذلك ؟ ثم ما قنع بذلك حتى قال : فما يلزم الكامل أن يكون له التقديم في كل علم وكل مرتبة، وانما نظر الرجال الى التقدم في مرتبة العلم بالله ، هنالك مطلبهم —

فقد زعم انه أعلم بالله من خاتم الانبياء ، وان تقدمه عليه بالعلم بالله، وتقدم خاتم الانبياء عليه بالتشريع فقط . وهذا من أعظم الكفر الذي يقع فيه غالية المتفلسفة

Marfat.com

وغالية المتصوفة وغالية المتكلمة الذين يزعمون انهم في الامور العلمية أكمل من الرسل، كالعلم بالله ونحو ذلك، وان الرسل انما تقدموا عليهم بالتشريع العام الذي جعل لصلاح الناس في دنياهم. وقد يقولون ان الشرائع قوانين عدلية وضعت لمصلحة الدنيا، فأما المعارف والحقائق والدرجات العالية في الدنيا والآخرة فيفضلون فيها أنفسهم وطرقهم على الانبياء وطرق الانبياء

وقد علم بالاضطرار من دين المسلمين ان هذا من أعظم الكفر والضلال، وكان من سبب جحد حقائق ما أخبرت به الرسل من أمر الايمان بالله واليوم الآخر زعمهم ان ما يقوله هؤلاء في هذا الباب هو الحق وصاروا في أخبار الرسل، تارة يكذبونها، وتارة يحرفونها، وتارة يفوضونها، وتارة يزعمون أن الرسل كذبوا لمصلحة العموم.

ثم عامة الذين يقولون هذه المقالات يفضلون الانبياء والرسل على انفسهم الا الغالية منهم كما تقدم، فهؤلاء من شر الناس قولا واعتقادا

وقد كان عندهم شيخ من أجهل الناس كان يعظمه طائفة من الاعاجم ويقال انه خاتم الاولياء، يزعم انه يفسر العلم بوجهين، وان النبي ﷺ انما فسره بوجه واحد وانه هو أكمل من النبي ﷺ وهذا تلقاه من صاحب الفصوص وأمثاله هذا في هذه الاوقات كثير، وسبب ضلال المتفلسفة وأهل التصوف والكلام الموافقة لضلالهم، وليس هذا موضع الاطناب في بيان ضلال هذا وانما الغرض التنبيه على ان صاحب الفصوص وأمثاله قالوا قول هؤلا

فأما كفر من يفضل نفسه على النبي ﷺ كما ذكر صاحب الفصوص فظاهر ولكن من هؤلا من لا يرى ذلك ولكن يرى ان له طريقا الى الله غير اتباع الرسول، ويسوغ لنفسه اتباع تلك الطريق وان خالف شرع الرسول، ويحتجون بقصة موسى والخضر

ولا حجة فيها لوجهين (أحدهما) ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا

Marfat.com

كان يجب على الخضر اتباع موسى فان موسى، كان مبعوثا الى بني اسرائيل ولهذا جاء في الحديث الصحيح « ان موسى لما سلم على الخضر قال وأنى بأرضك السلام ؟ قال أنا موسى، قال: موسى بني اسرائيل ؟ قال نعم، قال انك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه . وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه » ولهذا قال نبينا ﷺ « فضلنا على الناس بخمس : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، فأي رجل أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة [1] » وقد قال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) وقال تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً) الآية

فمحمد ﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين :إنسهم وجنهم ، عربهم وعجمهم ، ملوكهم وزهادهم ، الاولياء منهم وغير الاولياء . فليس لأحد الخروج عن متابعته باطنا وظاهراً ، ولا عن متابعة ماجاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل ، لا في العلوم ولا الاعمال، وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى، وأما موسى فلم يكن مبعوثا إلى الخضر

(الثاني) ان قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة بل الامور التي فعلها تباح في الشريعة ، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان مخالفا لشريعته لم يوافقه بحال .

وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع. فان خرق السفينة مضمونه ان المال المعصوم يجوز للانسان أن يحفظه لصاحبه باتلاف بعضه فان ذلك خير من ذهابه بالكلية كما جاز للراعي على عهد النبي ﷺ أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت. وقصة الغلام مضمونها جواز قتل الصبي الصائل، ولهذا قال ابن عباس : وأما الغلمان فان كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا تقتلهم. وأما إقامة الجدار

(١) لم يذكر الخامسة ، وفي بعض الاحاديث هي « ونصرت بالرعب مسيرة شهر »

Marfat.com

ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة إذا كان لذرية قوم صالحين

***

(الوجه الثامن) أنه قال: ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط الى آخر كلامه وهو متضمن ان العلم نوعان (أحدهما) علم الشريعة وهو يأخذه عن الله كما يأخذ النبي فانه قال والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الاحكام كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه لانه يرى الامر على ماهو عليه فلا بد ان يراه هكذا،

وهذا الذي زعمه من ان الولي يأخذ عن الله في السر مايتبع فيه الرسل كأئمة العلماء مع أتباعهم، فيه من الالحاد ما لايخفى على من يؤمن بالله ورسله، فان هذا يدعي انه أوتي مثل ما أوتي رسل الله، ويقول انه أوحي إلي ولم يوح اليه شيء، ويجعل الرسل بمنزلة معلمي الطب والحساب والنحو وغير ذلك إذا عرف المتعلم الدليل الذي قال به معلمه فينبغي موافقته لمشاركته له في العلم لانه رسول وواسطة من الله اليه في تبليغ الامر والنهي. وهذا الكفر يشبه كفر مسيلمة الكذاب ونحوه ممن يدعي انه مشارك للرسول في الرسالة، وكان يقول مؤذنه أشهد أن محمداً ومسيلمة رسولا الله

(والنوع الثاني) علم الحقيقة وهو فيه فوق الرسول كما قال هو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فانه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به الى الرسول، فقد ادعى ان هذا العلم الذي هو موضع اللبنة الذهبية وهو علم الباطن والحقيقة هو فيه فوق الرسول لانه ياخذه من حيث يأخذ الملك العلم الذي يوحي به إلى الرسول، والرسول يأخذه من الملك، وهو أخذه من فوق الملك، من حيث ياخذه الملك، وهذا فوق دعوى مسيلمة الكذاب، فان مسيلمة لم يدع انه أعلا من الرسول في علم من العلوم الالهية، وهذا ادعى انه فوقه في العلم بالله

Marfat.com

ثم قال : فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع . ومعلوم ان هذه الكفر فوق كفر اليهود والنصارى فان اليهود والنصارى لا ترضى أن تجعل أحداً من المؤمنين فوق موسى وعيسى، وهذا يزعم هو وأمثاله ممن يدعي انه خاتم الاولياء انه فوق جميع الرسل ،وأعلم بالله من جميع الرسل ، وعقلاء الفلاسفة لا يرضون بهذا وانما يقول مثل هذا غلاتهم وأهل الحق منهم الذين هم من أبعد الناس عن العقل والدين

* * *

(التاسع) قوله : فكل نبي من لدن آدم ـ إلى آخر الفصل ـ تضمن أن جميع الانبياء والرسل لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم النبيين، ليوطن نفسه بذلك أن جميع الانبياء لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، وكلاهما ضلال ،فان الرسل ليس منهم من يأخذ من آخر إلا من كان مأموراً باتباع شريعته كأنبياء بني اسرائيل والرسل الذين فيهم الذين أمروا باتباع التوراة كما قال تعالى (إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور) الآية

وأما ابراهيم فلم يأخذ عن موسى، وعيسى ، ونوح لم يأخذ عن ابراهيم، ونوح وابراهيم وموسى وعيسى لم يأخذوا عن محمد وان بشروا به وآمنوا به كما قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه

* * *

(العاشر) قوله : فان تحقيقه موجود ، وهو قوله « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » بخلاف غيره من الانبياء ، وكذلك خاتم الاولياء كان ولياً وآدم بين الماء والطين . ـ كذب واضح مخالف لاجماع أئمة الدين ، وإن كان هذا يقوله طائفة من أهل الضلال والالحاد ، فان الله علم الاشياء وقدرها قبل أن يكونها ،

Marfat.com

ولا تكون موجودة بحقائقها إلاحين توجد ولافرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم، ولم تكن حقيقته ﷺ موجودة قبل أن يخلق إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها ، لكن كان ظهور خبره و سمه مشهوراً أعظم من غيره فانه كان مكتوباً في التوراة والانجيل وقبل ذلك ، كما روى الامام أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية ، عن النبي ﷺ قال« إني لعبد الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي ، رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نوراً ضاءت له قصور الشام » وحديث ميسرة الفجر: قلت يارسول الله ، متى كنت نبياً ؟ وفي لفظ متى كتبت نبياً ؟ قال « وآدم بين الروح والجسد » وهذا لفظ الحديث

وأما قوله« كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » فلا أصل له ، لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ وهو باطل ، فانه لم يكن بين الماء والطين إذ الطين ماء وتراب ، ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد ﷺ وقدرها ، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمل في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات ، فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح » وروي انه كتب اسمه على ساق العرش ومصاريع الجنة (١) فاين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة؟ وما يروي في هذا الباب من الاحاديث هو من هذا الجنس مثل كونه كان نوراً يسبح حول العرش أو كوكباً يطلع في السماء ونحو ذلك كما ذكره ابن حمويه صاحب ابن عربي وذكر بعضه عمر الملا في وسيلة المتعبدين وابن سبعين وأمثالهم ممن يروي الموضوعات

(١) اشار بقوله « يروي » الى أن هذا ضعيف غير صحيح كالذي قبله واما « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » فانه باطل رواية ومعني

Marfat.com

المكذوبات باتفاق أهل المعرفة بالحديث. وان هذا المعنى رووا فيه أحاديث كلها كذب حتى انه اجتمع بي قديما شيخ معظم من أصحاب ابن حمويه يسميه أصحابه سلطان الاقطاب وتفاوضنا في كتاب الفصوص وكان معظما له ولصاحبه حتى أبديت له بعض مافيه فهاله ذلك وأخذ يذكر مثل هذه الاحاديث فبينت له أن هذا كله كذب.

*
* *

(الحادي عشر) قوله: وخاتم الولاية كان ولياً وآدم بين الماء والطين ـ الى قوله ـ فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية كنسبة الاولياء والرسل معه ـ الى آخر الكلام ـ ذكر فيه ماتقدم من كون رسول الله ﷺ مع هذا الختم المدعى كسائر الانبياء والرسل معه يأخذ من مشكاته العلم بالله الذي هو أعلا العلم وهو وحدة الوجود انه مقدم الجماعة وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة. فمين حالا خاصا ما عمم ـ الى قوله ـ ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص اه فكذب على رسول الله ﷺ في قوله: انه قال: سيد ولد آدم في الشفاعة فقط لا في بقية المراتب» بخلاف الختم المفتري فانه سيد في العلم بالله وغير ذلك من المقامات

ولقد كنت أقول: لو كان المخاطب لنا ممن يفضل ابراهيم أو موسى أو عيسى على محمد ﷺ لكانت مصيبة عظيمة لايحملها المسلمون فكيف بمن يفضل رجلا من أمة محمد على محمد وعلى جميع الانبياء والرسل في أفضل العلوم ويدعي أنهم يأخذون ذلك من مشكاته؟ وهذا العلم هو غاية الالحاد والزندقة. وهذا المفضل من أضل بني آدم وأبعدهم عن الصراط المستقيم، وان كان له كلام كثير ومصنفات متعددة، وله معرفة باشياء كثيرة، وله استحواذ على قلوب طوائف من أصناف المتفلسفة والمتصوفه والمتكلمة والمتفقهة والعامة، فان هذا الكلام من أعظم الكلام ضلالا عند أهل الكلام والايمان والله أعلم.

Marfat.com

* * *

وقد تبين ان في هذا الكلام من الكفر والتنقيص بالرسل والاستخفاف بهم والغض منهم والكفر بهم وبما جاؤا به مالا يخفى على مؤمن ، وقد حدثني أحد أعيان الفضلاء انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري رحمة الله عليه يقول : رأيت ابن عربي وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله. ولقد صدق فيما قال ، ولكن هذا بعض الانواع التي ذكرها من الكفر، وكذلك قول أبي محمد بن عبد السلام: هو شيخ سوء مقبوح كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا ـ هو حق عنه لكنه بعض أنواع ماذكره من الكفر، فان قوله لم يكن قد تبين له حاله وتحقق، وإلا فليس عنده رب وعالم كما تقوله الفلاسفة الالهيون الذين يقولون بواجب الوجود، وبالعالم الممكن الوجود بل عنده وجود العالم هو وجود الله ، وهذا يطابق قول الدهرية الطبائعية الذين ينكرون وجود الصانع مطلقا ولا يقرون بوجود واجب غير العالم كما ذكر الله عن فرعون وذويه، وقوله مطابق لقول فرعون ، لكن فرعون لم يكن مقراً بالله وهؤلاء يقرون بالله، ولكن يفسرونه بالوجود الذي أقر به فرعون، فهم أجهل من فرعون وأضل ، وفرعون أكفر منهم، في كفره من العناد والاستكبار ماليس في كفرهم، كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال له موسى (لقد علمت ماأنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر) وجماع أمر صاحب الفصوص وذويه هدم أصول الايمان الثلاثة فان أصول الايمان : الايمان بالله والايمان برسله والايمان باليوم الآخر .

فأما الايمان بالله فزعموا ان وجوده وجود العالم ليس للعالم صانع غير العالم ، وأما الرسول فزعموا انهم أعلم بالله منه ومن جميع الرسل ، ومنهم من يأخذ العلم بالله الذي هو التعطيل ووحدة الوجود من مشكاته، وانهم يساوونه في أخذ العلم بالشريعة عن الله . وأما الايمان باليوم الآخر فقد قال :

Marfat.com

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وبالوعيد الحق عين تعاين
وان دخلوا دار الشقاء فانهم على لذة فيها نعيم يباين

وهذا يذكر عن بعض أهل الضلال قبله انه قال : ان النار تصير لاهلها طبيعة نارية يتمتعون بها ، وحينئذ فلا خوف ولا محذور ولا عذاب لانه أمر مستعذب ثم انه في الامر والنهي عنده الآمر والناهي والمأمور والمنهي واحد ، ولهذا كان أول ماقاله في الفتوحات المكية التي هي أكبر كتبه :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب أني يكلف ؟

وفي موضع آخر فذاك ميت ، رأيته بخطه

وهذا مبني على اصله فان عنده ما ثم عبد ولا وجود الا وجود الرب فمن المكلف؟ وعلى أصله هو المكلف كما يقولون ارسل من نفسه الى نفسه رسولا ، وكما قال ابن الفارض في قصيدته التي نظمها على مذهبهم وسماها نظم السلوك :

إليَّ رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي استدلت

ومضمونها هو القول بوحدة الوجود ومذهب ابن عربي وابن سبعين وامثالهم كما قال :

لها صلاتي بالمقام اقيمها وأشهد فيها انها لي صلت
كلانا مصل عابد ساجد الى حقيقة الجمع في كل سجدة(١)
وما كان لي صلى سواي فلم تكن صلاتي لغيري في أداكل ركعة

الى قوله :

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

ومثل هذا كثير والله اعلم .

(١) البيت في ديوانه الذي بين الايدي هكذا :
كلانا مصل واحد ناظر الى حقيقته بالجمع في كل سجدة

Marfat.com

وحدثني صاحبنا الفقيه الصوفي ابو الحسن علي بن قرباص انه دخل على الشيخ قطب الدين بن القسطلاني فوجده يصنف كتابا فقال : ماهذا ؟ فقال هذا في الرد على ابن سبعين وابن الفارض وابي الحسن الجربي والعفيف التلمساني ، وحدثني عن جمال الدين بن واصل وشمس الدين الاصبهاني انهما كانا ينكران كلام ابن عربي ويبطلانه ويردان عليه وان الاصبهاني رأي معه كتابا من كتبه فقال : ان اقتنيت شيئا من كتبه فلا تجيء إلي، او ماهذا معناه . وان ابن واصل لما ذكر كلامه في التفاحة التي انقلبت عن جوار معلم معها فقال: والله الذي لاإله الا هو يكذب. ولقد بر في يمينه .

وحدثني صاحبنا الفاضل أبو بكر بن سالار عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد شيخ وقته عن الامام ابي محمد بن عبدالسلام انهم سألوه عن ابن عربي، لما دخل مصر ،فقال: شيخ سوء مقبوح يقول بقِدم العالم ولايحرم فرْجا ، وكان تقي الدين يقول : هو صاحب خيال واسع . حدثني بذلك غير واحد من الفقهاء ممن سمع كلام ابن دقيق العيد . وحدثني ابن بحير عن رشيد الدين سعيد وغيره انه قال: كان يستحل الكذب، هذا احسن أحواله، وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه انه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال : قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئا فرأيته مخالفا للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كله شرك، ومن اتبع القرآن لم يصل الى التوحيد. قال فقلت له: ما الفرق عندكم بين الزوجة والاجنبية والاخت والكل واحد ؟ قال لافرق بين ذلك عندنا وانما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراما فقلنا هو حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثم حرام

وحدثني كمال الدين بن المراغي انه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذهب قال : وكنت أقرأ عليه في ذلك فانهم كانوا قد عظموه عندنا وهم مشتاقون

Marfat.com

إلى معرفة فصوص الحكم فلما صار يشرحه لي اقول هذا خلاف القرآن والاحاديث، فقال ارم هذا كله خلف الباب واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد — او كما قال — ثم خاف ان اشيع ذلك عنه فجاء الي باكياً وقال استر عني ما سمعته مني

وحدثني ايضاً كمال الدين انه اجتمع بالشيخ ابي العباس الشاذلي تلميذ الشيخ ابي الحسن فقال عن التلمساني: هؤلاء كفار هؤلاء يعتقدون ان الصنعة هي الصانع، قال وكنت قد عزمت على ان ادخل الخلوة على يده فقلت أنا لا آخذ عنه هذا وانما اتعلم منه ادب الخلوة، فقال لي: مثلك مثل من يريد ان يتقرب الى السلطان على يد صاحب الاتون والزبال فاذا كان الزبال هو الذي يقربه الى السلطان كيف يكون حاله عند السلطان ؟

وحدثنا ايضا قال قال لي قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد انما استولت التتار على بلاد المشرق لظهور الفلسفة فيهم وضعف الشريعة، فقلت له ففي بلادكم مذهب هؤلاء الذين يقولون بالاتحاد وهو شر من مذهب الفلاسفة ؟ فقال قول هؤلاء لا يقوله عاقل بل كل عاقل يعلم فساد قول هؤلاء — يعني ان فساده ظاهر فلا يذكر هذا فيما يشتبه على العقلاء بخلاف مقالة الفلاسفة فان فيها شيئاً من المعقول وان كانت فاسدة

وحدثني تاج الدين الانباري الفقيه المصري الفاضل انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول رأيت ابن عربي شيخا مخضوب اللحية وهو شيخ نجس يكفر بكل كتاب انزله الله، وكل نبي ارسله الله. وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم انه قال كنت وأنا شاب بدمشق اسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسروشاهي ان كلاهما زنديق — او كلاما هذا معناه — وحدثني عن الشيخ ابراهيم الجعبري انه حضر ابن الفارض عند الموت وهو ينشد :

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت ايامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم احسبها اضغاث احلام

Marfat.com

وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين الزنباري انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول رأيت في منامي ابن عربي وابن الفارض وهما شيخان اعميان يمشيان ويتعثران ويقولان كيف الطريق ؟اين الطريق؟ وحدثني شهاب الدين المزي عن شرف الدين بن الشيخ نجم الدين بن الحكيم عن ابيه انه قال قدمت دمشق فصادفت موت ابن عربي فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد فرأيتها لا تشبه جنائز الاولياء—اوقال—فعلمت ان هذا ، وعن ابيه عن الشيخ اسماعيل الكوراني انه كان يقول ابن عربى شيطان،وعنه انه كان يقول عن الحريري انه شيطان،وحدثني شهاب الدين عن القاضي شرف الدين البارزلي ان اباه كان ينهاه عن كلام ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين

فصل

في بعض مايظهر به كفرهم، وفساد قولهم . وذلك من وجوه(أحدها) ان حقيقة قولهم :ان الله لم يخلق شيئاً ولا ابتدعه ولا برأه ولا صوره ،لانه إذا لم يكن وجود إنما وجوده فمن الممتنع أن يكون خالقاً لوجود نفسه ، أو بارئاً لذاته، فان العلم بذلك من أبين العلوم وأبدهها للعقول ان الشيء لا يخلق نفسه ، ولهذا قال سبحانه (أم خلقوا من غيرشيء أم هم الخالقون؟) فانهم يعلمون انهم لم يكونوا مخلوقين من غير خالق ، ويعلمون أن الشيء لا يخلق نفسه .فتعين ان لهم خالقا ، وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية انه ماثم شيء يكون الرب قدخلقه وبرأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة ، ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مربوبة مصنوعة مبروءة لامتناع ذلك في بدائه العقول ، وذلك من أظهر الكفر عند جميع أهل الملل، واما على رأي صاحب الفصوص فما ثم إلا وجوده والذوات الثابتة في العدم الغنية عنه ،ووجوده لايكون مخلوقا والذوات غنية عنه فلم يخلق الله شيئا

Marfat.com

(الثاني) ان عندهم ان الله ليس رب العالمين ولا مالك الملك اوليس الا وجوده وهو لا يكون رب نفسه ولا يكون الملك المملوك هو الملك المالك ، وقد صرحوا بهذا الكفر مع تناقضه وقالوا انه هو ملك الملك، بناء على ان وجوده مفتقر إلى ذوات الاشياء ، وذوات الاشياء مفتقرة إلى وجوده ، فالاشياء مالكة لوجوده، فهو ملك الملك

(الثالث) ان عندهم ان الله لم يرزق أحداً شيئاً، ولا أعطى أحداً شيئاً، ولا رحم أحداً ،ولا أحسن الى احد، ولا هدى احدا، ولا انعم على احد نعمة،ولا علم احداً علما ولا علم احداً البيان، وعندهم في الجملة لم يصل منه الى احد لا خير ولا شر،ولا نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع ،ولا هدى ولا اضلال أصلا. وان هذه الاشياء جميعها عين نفسه ومحض وجوده . فليس هناك غير يصل اليه، ولا أحد سواه ينتفع بها، ولا عبد يكون مرزوقا أو منصوراً أو مهديا

ثم على رأي صاحب الفصوص ان هذه الذوات ثابتة في العدم ، والذوات هي احسنت واساءت ، ونفعت وضرت ، وهذا عنده سر القدر. وعلى رأي الباقين ما ثم ذات ثابتة غيره أصلا، بل هو ذام نفسه بنفسه، ولا عن نفسه بنفسه، وهو المرزوق المضروب المشتوم ، وهو الناكح والمنكوح والآكل والمأكول ،وقد صرحوا بذلك تصريحاً بيناً

(الرابع) ان عندهم أن الله هو الذي يركع ويسجد ويخضع ويعبد ويصوم ويجوع ويقوم وينام. وتصيبه الامراض والاسقام وتبتليه الاعداء ويصيبه البلاء وتشتد به اللأواء ،وقد صرحوا بذلك وصرحوا بأن كل كرب يصيب النفوس فانه هو الذي يصيبه. وانه اذا نفس الكرب فانما يتنفس عنه، ولهذا كره بعض هؤلاء الذين هم من اكفر خلق الله واعظمهم نفاقا وإلحاداً وعتواً على الله وعناداً أن يصبر الانسان على البلاء لان عندهم هو المصاب المبتلى . وقد صرحوا بأنه

Marfat.com

موصوف بكل نقص وعيب فانه ما ثم من يتصف بالنقائص والعيوب غيره . فكل عيب ونقص وكفر وفسوق في العالم فانه هو المتصف به لا متصف به غيره . كلهم متفقون على هذا في الوحود

ثم صاحب الفصوص يقول: ان ذلك ثابت في العدم، وغيره يقول ما ثم سوى وجود الحق الذي هو متصف بهذه المعايب والمثالب

(الخامس) ان عندهم ان الذين عبدوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والذين عبدوا ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسراً. والذين عبدوا الشعرى والنجم والشمس والقمر والذين عبدوا المسيح وعزيراً والملائكة وسائر من عبد الاوثان والاصنام: قوم نوح وعاد وثمود وقوم فرعون وبني اسرائيل وسائر المشركين والعرب ما عبدوا إلا الله. ولا يتصور ان يعبدوا غير الله، وقد صرحوا بذلك في مواضع كثيرة مثل قول صاحب الفصوص في فص الكلمة النوحية :

(ومكروا مكراً كبّارا) لان الدعوة إلى الله مكر بالمدعو ، لانه ما عدم من البداية فيدعي الى الغاية (ادعوا الى الله) هنا عدة المكر (على بصيرة) ففيه أن الامر له كله فأجابوه مكراً كما دعاهم ـ إلى إن قال ـ فقالوا في مكرهم (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) فانهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فان الحق في كل معبود وجها خاصا يعرفه من عرفه ويجهله من جهله في المحمدين (وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه) أي حكم فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد وأن التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية. فما عبد غير الله في كل معبود. فالادنى من تخيل فيه الالوهية . فلولا هذا التخيل ما عبد الحجر ولا غيره . ولهذا قال تعالى (قل سموهم) فلو سموهم لسموهم حجراً وشجراً وكوكباً. ولو قيل من عبدتم لقالوا إلها واحداً كما كانوا يقولون الله ولا الآلهة، والاعلى ما تخيل بل

Marfat.com

قال هذا مجلى إلهي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر. فالادنى صاحب التخيل يقول: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والاعلى العالم يقول (إنما إلهكم إله واحد فله اسلموا) حيث ظهر (وبشر المخبتين الذين) خبت نار طبيعتهم فقالوا « إلها » ولم يقولوا « طبيعة »

وقال أيضا في فص الهارونية: ثم قال هارون لموسى (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل) فتجعلني سبباً في تفريقهم ، فان عبادة العجل فرقت بينهم، وكان فيهم من عبده اتباعا للسامري وتقليداً له ، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع موسى اليهم فيسألونه في ذلك ، فخشى هارون أن ينسب ذلك التفريق اليه ، فكان موسى أعلم بالامر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد إلا إياه وما حكم الله بشيء إلا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في انكاره وعدم اتساعه، فان العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ، فكان موسى يربي هارون تربية علم وإن كان أصغر منه في السن، ولذلك لما قال له هارون ما قال رجع إلى السامري فقال (فما خطبك ياسامري) يعني فيما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص ـ وساق الكلام ـ إلى أن قال ـ فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن تنفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سلط موسى عليه ـ حكمة من الله ظاهرة في الوجود ليعبد في كل صورة، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت إلا بعد ما تلبست عند عابدها بالالوهية، ولهذا ما بقي نوع من الانواع إلا وعبد، اما عبادة تأله ، واما عبادة تسخير ، ولا بد لمن ذلك لمن عقل ، وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه .ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ولم يقل رفيع الدرجة فكثر الدرجات في عين واحدة فانه قضى أن لا يعبد إلا إياه في درجات له كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهيا عبد فيها وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال (أفرأيت من تخذ إلهه

Marfat.com

هواه) فهو أعظم معبود، فانه لايعبد شيء إلا به ولا يعبد هو إلا بذاته. وفيه أقول :

وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى ولولا الهوى في القلب ماعبد الهوى

ألا ترى علم الله بالاشياء ما أكمله كيف تمم في حق من عبد هواه واتخذه إلها فقال (وأضله الله على علم) والضلالة الحيرة ، وذلك انه لما رأى هذا العابد ماعبد إلا هواه بانقياده لطاعته فيما يأمر به من عبادة من عبده من الاشخاص ، حتى إن عبادة الله كانت عن هوى أيضاً فانه لو لم يقع له في ذلك الجناب المقدس هوى وهو الارادة بمحبة ما عبد الله ولا آثره على غيره ، وكذلك كل من عبد صورة من صور العالم واتخذها إلها ما اتخذها الا بالهوى، فالعابد لا يزل تحت سلطان هواه ثم رأى المعبودات تتنوع في العابدين وكل عابد امراً ما يكفر من يعبد سواه، والذي عنده أدنى تنبه لا يحار لاتحاد الهوى بل لاحدية الهوى كما ذكر فانه عين واحدة في كل عابد (فأضله الله) أي حيره على علم بأن كل عابد ما عبد الا هواه ، ولا استعبده الا هواه ، سواء صادف الامر المشروع أو لم يصادف، والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه. ولذلك سموه كلهم الله مع اسمه الخاص شجر أو حجر أو حيوان أو انسان أو كوكب أو ملك هذا اسم الشخصية فيه والالوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبوده وهي على الحقيقة مجلى الحق ليصير هذا العابد المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص بحجر ولهذا قال بعض من لم يعرف مقامه جهالة (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مع تسميتهم اياهم آلهة . كما قالوا (اجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب) فما انكروه بل تعجبوا من ذلك فانهم وقفوا على كثرة الصور ونسبة الالوهية لها، فجاء الرسول ودعاهم الى اله واحد يعرف ، ولا يشهد ايضاً بشهادتهم أنهم أثبتوه عندهم واعتقدوه في قولهم (مانعبدهم لا ليقربونا الى الله زلفى) لعلمهم بأن تلك الصور حجارة ، ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله (قل سموهم) فما يسمونهم الا بما يعلمون أن تلك الاسماء لهم حقيقة. كحجر وخشب وكوكب

Marfat.com

وأمثالها، وأما العارفون بالامر على ماهو عليه فيظهرون صورة الانكار لما عبد من الصور لان مرتبتهم في العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت لحكم الرسول الذي آمنوا به عليهم الذي به سموا مؤمنين ، فهم عباد الوقت ، مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانها وانما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم ، وجهله المنكر الذي لا علم له بما يتجلى، وستره العارف المكمل من نبي أو رسول أو وارث عنهم ، فأمرهم بالانتزاح عن تلك الصور لما انتزح عنها رسول الوقت اتباعاً للرسول طمعاً في محبة الله اياهم بقوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فدعا إلى إله يصمد إليه ويعلم من حيث الجملة ولا يشهد ولا تدركه الابصار ، بل هو يدرك الابصار للطفه وسريانه في أعيان الاشياء ، فلا تدركه الابصار كما انها لا تدرك أرواحها المدبرة أشباحها ،وصورها الظاهرة ، فهو اللطيف الخبير ، والخبرة ذوق، والذوق تجلي والتجلي في الصور، فلا بد منها ولا بد منه ، فلا بد أن يعبد من رآه بهواه . ان فهمت هذا اه

فتدبر حقيقة ما عليه هؤلاء فانهم أجمعوا على كل شرك في العالم وعدلوا بالله كل مخلوق وجوزوا ان يعبد كل شيء ومع كونهم يعبدون كل شيء فيقولون ماعبدنا إلا الله، فاجتمع في قولهم أمران: كل شرك ، وكل جحود وتعطيل مع ظنهم انهم ما عبدوا إلا الله ، ومعلوم أن هذا خلاف دين المرسلين كلهم وخلاف دين أهل الكتاب كلهم ، والملل كلها، بل وخلاف دين المشركين أيضاً وخلاف مافطر الله عليه عباده مما يعقلونه بقلوبهم ويجدونه في نفوسهم، وهو في غاية الفساد والتناقض والسفسطة والجحود لرب العالمين

وذلك انه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ماعبده المشركون غير الله، ويجعلون عابده عابدا لغير الله مشركا بالله عادلا به جاعلا له ندا. فانهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له . وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به

Marfat.com

رسله وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من الاولين والآخرين غيره، ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والاشقياء كما قال النبي ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وقال « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وقال « إني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحا وهي رأس الدين » وكما قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »

وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون ، وهي حقيقة الامر كله كما قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون) فأخبر سبحانه انه يوحي إلى كل رسول بنفي الالوهية عما سواه وإثباتها له وحده . وزعم هؤلاء الملاحدة المشركون أن كل شيء يستحق الالوهية كاستحقاق الله لها ، وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟) وزعم هؤلاء الملاحدة ان كل شيء فانه إله معبود ·فأخبر سبحانه انه لم يجعل من دون الرحمن آلهة. وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فأمر الله سبحانه بعبادته واجتناب الطاغوت . وعند هؤلاء :أن الطواغيت جميعها فيها الله أو هي الله ومن عبدها فما عبد إلا الله . وقال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) الآيتين وأمر سبحانه بعبادة الرب الخالق لهذه الآيات . وعند هؤلاء الملاحدة الملاعين هو عين هذه الآيات .ونهى سبحانه أن يجعل الناس له أنداداً وعندهم هذا لا يتصور فان الانداد هي عينه فكيف يكون نداً لنفسه؟ والذين عبدوا الانداد فما عبدوا سواه

ثم ان هؤلاء الملاحدة احتجوا بتسمية المشركين لما عبدوه إلهاً كما قال

Marfat.com

(أجعل الآلهة إلها واحداً ؟) واعتقدوا انهم لما سموهم آلهة كانت تسمية المشركين دليلا على ان الهية الله لهم. وهذه الحجة قد ردها الله على المشركين في غير موضع كقوله سبحانه عن هود في مخاطبته للمشركين من قومه (أتجادلوني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) الآية هذا رداً لقولهم (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) فأخبر رسول الله ﷺ أن تسميتهم إياها آلهة ومعبودين تسمية ابتدعوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من حجة ولا سلطان، والحكم ليس إلا لله وحده ، وقد أمر هو سبحانه أن لا يعبد الا اياه، فكيف يحتج بقول مشركين لا حجة لهم ؟ وقد أبطل الله قولهم ؟ وأمر الخلق أن لا يعبدوا إلا إياه دون هذه الاوثان التي سماها المشركون آلهة، وعند الملاحدة عابدو الاوثان ما عبدوا الا الله

ثم ان المشركين أنكروا على الرسول حيث جاءهم ليعبدوا الله وحده ويذروا ما كان يعبد آباءهم، فاذا كانوا هم مازالوا يعبدون الله وحده كما تزعمه الملاحدة، فلم يدعو إلى ترك ما يعبده آباؤهم هو وغيره من الانبياء ؟ وكذلك قال سبحانه في سورة يوسف عنه (ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان — الى قوله — ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال سبحانه (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى — الى قوله — ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وهذه الثلاثة المذكورة في هذه السورة هي الاوثان العظام الكبار التي كان المشركون ينتابونها من امصارهم، فاللات كانت حذو قديد بالساحل لأهل المدينة، والعزى كانت قريبة من عرفات لأهل مكة ، ومناة كانت بالطائف لثقيف، وهذه الثلاثة هي أمصار ارض الحجاز

أخبر سبحانه ان الاسماء التي سماها المشركون اسماء ابتدعوها لا حقيقة لها، فهم انما يعبدون اسماء لا مسميات لها، لانه ليس في المسمى من الالوهية ولا العزة

Marfat.com

ولا التقدير شيء ، ولم ينزل الله سلطانا بهذه الاسماء ،إن يتبع المشركون الا ظنا لا يغني من الحق شيئا في انها آلهة تنفع وتضر ويتبعوا اهواء انفسهم. وعند الملاحدة انهم اذا عبدوا أهواءهم فقد عبدوا الله ،وقد قال سبحانه عن امام الائمة وخليل الرحمن وخير البرية بعد محمد ﷺ انه قال لأبيه (ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا*ياأبت اني قد جاءني من العلم مالم يأتك — الى قوله — فتكون للشيطان ولياً) فنهاه وأنكر عليه ان يعبد الاوثان التي لاتسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئا

وعلى زعم هؤلاء الملحدين فما عبدوا غير الله في كل معبود فيكون الله هو الذي لايسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئاً وهو الذي نهاه عن عبادته وهو الذي امره بعبادته. وهكذا قال احذق طواغيتهم الفاجر التلمساني في قصيدة له :

يا عاذلي انت تنهاني وتأمرني والوجد اصدق نهاء وأمار
فان اطعك وأعص الوجد عذرني عمى عن العيان الى اوهام اخبار[1]
وعين ما أنت تدعوني اليه اذا حققته تره المنهي يا جاري

وقد قال ايضا ابراهيم لأبيه (يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا) وعندهم ان الشيطان مجلى الهي ينبغي تعظيمه ومن عبده فما عبد غير الله،وليس الشيطان غير الرحمن حتى نعصيه،وقد قال سبحانه (ألم أعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين*وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم — الى قوله — يعقلون)فنهاهم عن عبادة الشيطان وأمرهم بعبادة الله سبحانه،وعندهم عبادة الشيطان هي عبادته أيضا، فينبغي أن يعبد الشيطان وجميع الموجودات فانها عينه

وقال تعالى أيضا عن امام الخلائق خليل الرحمن انه لما (رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين* فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي. فلما

(١) كذا في الاصل والبحر

Marfat.com

أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين* فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون* اني وجهت وجهي ـ الى قوله ـ وهم مهتدون) وقال أيضا (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ـ الى قوله ـ حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) الآية . وقال تعالى (أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباءكم الاقدمون ـ الى قوله ـ إذ نسويكم برب العالمين) وقال تعالى (إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ـ إلى قوله ـ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين)

فهذا الخليل الذي جعله الله امام الأئمة الذين يهتدون بأمره من الانبياء والمرسلين بعده وسائر المؤمنين قال (إنني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً) وعند الملاحدة الذي أشركوه هو عين الحق ليس غيره، فكيف يتبرأ من الله الذي وجه وجهه اليه؟ وأحد الأمرين لازم على أصلهم إما أن يعبده في كل شيء من المظاهر بدون تقيد ولا اختصاص وهو حال المكمل عندهم فلا يتبرأ من شيء ، واما أن يعبده في بعض المظاهر كفعل الناقصين عندهم

وأما التبري من بعض الموجودات فقد قال : ان قوم نوح لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا من تلك الاوثان، والرسل قد تبرأت من الاوثان فقد تركت الرسل من الحق شيئاً كثيراً وتبرؤا من الله الذي دعوا الخلق اليه، والمشركون على زعمهم أحسن حالا من المرسلين، لان المشركين عبدوه في بعض المظاهر ولم يتبرؤا من سائرها، والرسل يتبرؤن منه في عامة المظاهر .

ثم قول ابراهيم (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) باطل على أصلهم، فانه لم يفطرها اذ هي ليست غيره، فما أجدرهم بقوله (ألم تر إلى الذين أوتوا

Marfat.com

نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية

ثم قول الخليل (وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون انكم أشركتم بالله) الآية وهذه حجة الله التي آتاها ابراهيم على قومه بقوله : كيف أخاف ماعبدتموه من دون الله ؟ وهي المخلوقات المعبودة من دونه ، وعندهم ليست معبودة من دونه ، ومن لم يقم بحقها فلم يخف الله ، والرسل لم يخافوا الله .

وقول الخليل (انكم أشركتم بالله مالم ينزل به سلطانا) لم يصح عندهم فانهم لم يشركوا بالله شيئا اذ ليس ثم غيره حتى يشركوا به ، بل المعبود الذي عبدوه هو الله وأكثر ما فعلوه انهم عبدوه في بعض المظاهر وليس في هذا أنهم جعلوا غيره شريكا له في العبادة .

وقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ورد في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي ﷺ « ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح (لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) » فقد أخبر الله ورسوله ان الشرك ظلم عظيم ، وان الامن هو لمن آمن بالله ولم يخلط إيمانه بشرك ، وعلى زعم هؤلاء الملاحدة فايمان الذين خلطوا إيمانهم بشرك هو الايمان الكامل التام ، وهو إيمان المحقق العارف عندهم ، لان من آمن بالله في جميع مظاهره وعبده في كل موجود هو أكمل ممن لم يؤمن بالامر حيث لم يظهر ، ولم يعبده الا من حيث لايشهد ولا يعرف [1] وعندهم

---

(١) يعنون بهذا الايمان بالغيب الذي هو أساس دين الله في القرآن وسائر الكتب الالهية . وهذا عندهم ادنى وانقص درجات الايمان بل هو عندهم باطل ، إذلا موجود عندهم غير هذه المظاهر ، فكل العبادة عبادتها أو عبادة ما سمي الاله فيها كلها وهو هي ، ودون ذلك عبادته في بعضها كعبادة المسيح وغيره من البشر وعبادة العجل والاصنام فكلما كثرت المعبودات كانت العبادة أكمل ، ولا يسمى هذا شركا عندهم لان هذه كلها وسائر الموجودات شيء واحد في نفسه متعدد في مظاهره .

Marfat.com

لا يتصور أن يوجد الا في المخلوق، فمن لم يعبده في شيء من المخلوقات أصلا فما عبده في الحقيقة ، واذا أطلقوا انه عبده فهو لفظ لا معنى له، أي اذا فسروه فيكون بالتخصيص بمعنى انه خصص بعض المظاهر بالعبادة ، وهذا عندهم نقص لا من جهة ما أشركه وعبده ، وانما هو من جهة ما تركه، فليس عندهم في الشرك ظلم ولا نقص الا من جهة قلته ، و الا فاذا كان الشرك عاما كان أكمل وأفضل ،

وكذلك أيضا قول الخليل لقومه (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله) تبرأ عندهم من الحق الذي ظهر فيهم وفي آلهتهم، وكذلك كفره به ومعاداته لهم كفر بالحق عندهم ومعاداة له .

ثم قوله (حتى تؤمنوا بالله وحده) كلام لا معنى له عندهم ، فانهم كانوا مؤمنين بالله وحده ، اذ لا يتصور عندهم غيره ، وانما غايتهم انهم عبدوه في بعض المظاهر وتركوا بعضها من غير كفر به فيها ، وكذلك سائر ما قصه عن ابراهيم من معاداته لما عبده اولئك هو عندهم معاداة لله لانه ما عبد غير الله كما زعم الملحدون محتجين بقوله (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه) قالوا : وما قضى الله شيئا الا وقع .وهذا هو الالحاد في آيات الله ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، والكذب على الله، فان «قضى» هنا ليست بمعنى القدر والتكوين باجماع المسلمين بل وباجماع العقلاء حتى يقال ما قدر الله شيئاً الا وقع، وانما هي بمعنى أمر، وما أمر الله به فقد يكون وقد لا يكون. فتدبر هذا التحريف، وكذلك قوله ما حكم الله بشيء الا وقع كلام مجمل فان الحكم يكون بمعنى الامر الديني وهو الاحكام الشرعية كقوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام) الآية ، وقوله (ومن أحسن من الله حكما) وقوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والعقل كقوله (لن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي) وقوله (قل رب احكم بالحق)

Marfat.com